

سلسلة الحقوق الإسلامية

٢

حقوق القرآن الكريم

على النساء

تأليف

يوسف علي بيوي

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

حقوق الطبع محفوظة للناسِر
الطبعة الأولى
١٤١٤هـ ~ ١٩٩٣م



دمشق - شارع مسام البارودي - بناو فولي وصلاحي - هاتف: ٢٢٥٨٧٧ - ص.ب: ٣١١

بيروت - هاتف: ٨١٧٨٥٧ - ص.ب: ١١٣/٦٣١٨

حَقِّ الْقُرْآنِ كَثِيرًا
عَلَى النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، حمداً يوافي نعمه ، ويُكافيء مزيده .
والحمد لله الذي أنزل القرآن ، وهدانا للإيمان ، وَمَنْ عَلَيْنَا بِإرسال
أكرم الخلق عليه سيدنا محمد ﷺ ، فأخرج الناس من الظلمات إلى
النور ، وخصه سبحانه وتعالى بالمعجزة الخالدة ، القرآن الكريم ،
فهدى به مَنْ شاء ، وأضلَّ مَنْ شاء ، بيده الملك ، وهو على كل شيء
قدير .

والصلاة والسلام على معلّم الناس الخير ، نبيّ الرّحمة والرّأفة ،
أرسله بالهدى ودين الحق ؛ ليظهره على مرّ الزمان ولو كره الكافرون ،
وحملّه الرسالة فأداها ، وبلغ الأمانة ، ونصح الأمة ﷺ ، وعلى آله
وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإنّ القرآن الكريم له حقوق على المؤمنين خاصّة ، وعلى
الناس عامة ، كي يعبدوا الله تعالى بتلاوة كلامه ، ويتقرّبوا إليه بحفظ
كتابه ، ويكثرّوا من الاعتناء به ؛ لينالوا عظيم ثوابه ، ويظفروا بجنت
التّعيم في الدار الآخرة .

وقد أوجب الله سبحانه النصح لكتابه الكريم ، ومن ذلك بيان
آداب حملته ، وإرشادهم ، وتنبيههم ، ليلتزموا منهاجه ، ويدرسوا

علمه ، ويتعلموا حُسْنَ تِلاوته وأدائه ، ويفهموا معاني آياته ؛ بتدبُّرٍ
وتعمُّقٍ ، فيهدوا بنوره إلى صراطِ اللهِ المستقيم .

وقد دعانا رسولُ الله ﷺ للتمسك بكتابِ الله ، والاعتصام بحبله
المتين ، فقال ﷺ :

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ طَرْفُهُ بِيَدِ اللَّهِ ، وَطَرْفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فْتَمَسَّكُوا بِهِ ،
فَأِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا ، وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا » (١) .

وقال ﷺ :

« تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا : كِتَابَ اللَّهِ
وَسُنَّتِي » (٢) .

وقد رأيتُ أنَّ حقوقَ القرآنِ الكريمِ تتوزَّعُ في ثمانيةِ محاورٍ هي :
الإيمانُ به ، وقراءته وحفظه ، وجودةُ ترتيله ، وتدبُّرُ معانيه ،
وتعاهده ، وتعليمه للآخرين ، وحُسنُ الاستماعِ إليه ، والعملُ
بأحكامه .

وقد أفردتُ لكلِّ حقٍّ من هذه الحقوقِ فصلاً خاصاً ، مستشهداً
بآياتِ الله ، وأحاديثِ رسوله ، وأقوالِ العلماءِ المخلصين .

ولم ينزل كتابُ الله تعالى إلا ليكون كتابَ الحياة ، ليقراه الناس ،
يفهموا معانيه ، ويتعلموا أحكامه ، فيفعلوا الخير ، ويجتنبوا الشرَّ ،
ويطبِّقوا أحكامَ السماءِ في بقاعِ الأرض ، فهو كتابُ الله الحكيم أنزله
هدايةً للبشر ، فقال عز وجل :

(١) رواه ابن حبان .

(٢) رواه الحاكم .

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم : ١] .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ [فصلت : ٤٤] .

وقال الله العظيم :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الإسراء : ٩] .

فعلی المسلمین أن یتمسکوا بکتابهم ، ویتعظوا بمواعظه ، ویتفکروا بآیاته ، ویدرکوا معانیها ، وأن یتزموا آدابه ، متمثلین سیرة السلف الصالح ، الذین قال تعالی فیهم :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

والمسلم مُطالبٌ على الدوام أن يتمثل قول الله عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

ثم إن هذا الكتاب — عزيزي القارئ — بين يديك ، ولا أدعي له الكمال ، وإن كنت بذلت الجهد في العرض والتقصي والتبويب ، فأسأل الله تبارك وتعالى أن يلهمنا رشدنا ، ويثبت على الإيمان قلوبنا ، ويهدينا للتمسك بكتابه ، إنه على ما يشاء قدير .

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً يا أرحم

الراحمين .

والحمد لله رب العالمين .

يوسف بديوي

دمشق في ٤ / ربيع الثاني / ١٤١٣ هـ
١ / تشرين الأول / ١٩٩٢ م

الفصل الأول

الإيمان بالقرآن الكريم

الإيمان بالقرآن الكريم

● وجوب الإيمان بالكتب السماوية :

من أصول الإيمان وأركان العقيدة الإسلامية الإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى على رسله وأنبيائه .

قال تعالى :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وقد أمر الله سبحانه رسوله محمداً ﷺ أن يعلن إيمانه بكل الكتب السماوية التي أوحاها الله عز وجل إلى رسله ، فقال تعالى :

﴿ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ﴾ [الشورى : ١٥] .

وقد أثنى الله على رسله الذين يُبلِّغون رسالاته إلى خلقه ، ويؤدونها بأماناتها ، ويخشون الله تعالى ، ولا يخافون أحداً سواه ، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله تعالى . قال عز وجل :

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾ [الأحزاب : ٣٩] .

وقد خاطب الله المؤمنين كي يؤمنوا بالكتب السماوية – ومنها

القرآن الكريم - فقال سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولُهُ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ [النساء : ١٣٦] .

وَمَنْ لَمْ يُؤْمِن بِالْكِتَابِ السَّمَاوِيَةِ فَقَدْ خَرَجَ عَن طَرِيقِ الْهُدَى ، وَبَعْدَ عَنِ الْقَصْدِ كُلِّ الْبَعْدِ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١٣٦] .

إِذْ نَفَقِيدَةُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَقْتَضِي الْإِيمَانَ بِكُتُبِهِ ، وَهَذَا يَقُودُ إِلَى الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ الْكَرَامِ الْمُؤَيَّدِينَ بِالْمُعْجَزَاتِ ، الَّذِينَ بَلَّغُوا عَن رَبِّهِمْ كُلَّ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِمْ بِأَمَانَةٍ وَإِخْلَاصٍ .

● مَعْنَى الْإِيمَانِ بِالْكِتَابِ السَّمَاوِيَةِ :

أَخْبَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنِ بَعْضِ الْكِتَابِ السَّمَاوِيَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، وَهِيَ :

- صَحْفَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .
- التَّوْرَةَ : وَهِيَ الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ عَلَى النَّبِيِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .
- الزَّبُورَ ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .
- الْإِنْجِيلَ ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّبِيِّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَنَحْنُ نُوْمِنُ إِيمَانًا قَاطِعًا بِمَا فَصَّلَهُ الْقُرْآنُ مِنْ حَدِيثٍ عَنِ الْكِتَابِ السَّمَاوِيَةِ ، لَا نَزِيدُ وَلَا نَنْقُصُ ، كَمَا نُوْمِنُ بِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَزَّ

وجل ، سواء عرفنا اسمه أم جهلناه ، وسواء عرفنا الرسول أم لم نعرفه ،
فالتصديق من أركان الإيمان بالله وملائكته وكتبه .

وقد اشتركت هذه الكتب كلّها ببيان أصول الدين ، وهي دعوة
الناس إلى التوحيد وطاعة الله وعبادته .

ولكن كُتِبَ أهل الكتاب الموجودة الآن بين أيديهم قد أصابها
التحريف والتبديل ، وطراً عليها زيادات ونقصان ، مما أساء إلى المعاني
التي تضمّنتها ، ففقدت مصداقيتها ، نتيجة تدخّل الأيدي العابثة ،
وذوي الأهواء الضالّة ، فلم نعد نثق بمضمون تلك الكتب ، أو نعتبرها
من الأصول الصحيحة في مجال العقيدة والإيمان .

ويبقى القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي حُفِظَ من
التغيير والتبديل والتحريف ، فصانه الله تعالى عن تقوّل الكاذبين ،
وحماه عن تلاعب المشكّكين ، بما هيأ له من وسائل الحفظ في الصدور
والمصاحف ، فجعله قطعيّ الثبوت ، لا يتطرق إليه أدنى ريب ، حتى
انتشر في الأقطار ، وحفظته صدور المؤمنين ، فهو كتابٌ من عند الله
تعالى ، خالد خلود الدهر ، باقٍ مادامت السماوات والأرض . قال
تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

● تعريف القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى ، المنزّل على رسول الله ﷺ
بوساطة جبريل عليه السلام ، بلسان عربي مبين ؛ لفظاً ومعنى ،

المكتوب في المصاحف ، المتعبّد بتلاوته ، والمنقول إلينا نقلاً متواتراً إلى النبي ﷺ .

● أسماء القرآن :

للقرآن الكريم ثلاثة أسماء مشهورة ، هي :

— القرآن : قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : ٩] .

— الكتاب : قال عزّ وجل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً ﴾ [الكهف : ١] .

— الفرقان : قال سبحانه : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ [الفرقان : ١] .

وثمة حكمة في إطلاق اسمي القرآن والكتاب على كلام الله تعالى ، ذكرها الدكتور « محمد عبد الله دراز » بقوله :

« رُوْعِي فِي تَسْمِيْتِهِ « قُرْآنًا » كونه متلوّاً بالألسن ، كما رُوْعِي فِي تَسْمِيْتِهِ « كِتَابًا » كونه مدوناً بالأقلام ، فكُلْتَا التَّسْمِيْتَيْنِ مِنْ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِالْمَعْنَى الْوَاقِعِ عَلَيْهِ . وَفِي تَسْمِيْتِهِ بِهَذَيْنِ الْأَسْمَاءِ إِيْشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مِنْ حَقِّهِ الْعِنَايَةَ بِحِفْظِهِ فِي مَوْضِعَيْنِ لَا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ، أَعْنِي أَنَّهُ يَجِبُ حِفْظُهُ فِي الصُّدُورِ وَالسُّطُورِ جَمِيعاً ، فَلَا ثِقَةَ لَنَا بِحِفْظِ حَافِظٍ حَتَّى يُوَافِقَ الرَّسْمَ الْمَجْمُوعَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَصْحَابِ الْمُنْقُولِ إِلَيْنَا جِيْلاً بَعْدَ جِيْلٍ عَلَى هَيْئَتِهِ الَّتِي وُضِعَ عَلَيْهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ .

ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفّاظ بالإسناد الصحيح المتواتر .

وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية بقي

القرآنُ محفوظاً في حِرْزِ حريز ؛ إنجازاً لوعده الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، ولم يُصبه ما أصاب الكتب السابقة من التحريف والتبديل وانقطاع السند ؛ حيث لم يتكفل الله بحفظها ، بل وكلها إلى حفظ الناس ، فقال تعالى : ﴿ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [المائدة : ٤٤] «^(١) .

« وسُمِّي القرآنُ » فرقاناً « باعتبار أنه كلامٌ فارق بين الحقِّ والباطل ، أو مفروق بعضه عن بعض في النزول ، أو في السور والآيات »^(٢) .

● خصائص القرآن :

امتاز القرآن الكريم بجملة خصائص وميزات ، تُورد فيما يلي بعضها :

١ - إنه بلسان عربي مُبين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ٢] .

وفي هذا تكريم للأمة العربية ، وخلود للغتها ، فكان القرآن حامياً للغة العربية من تقلبات الدهر ، وهجمة العُجمة والعامية ، فالعربُ أمة القرآن ، واللغة العربية هي لغة القرآن ، والقرآن سبب خلود لغة العرب واستمرار وجودهم .

٢ - إنه معجز للبشر ، إذ تحدّى الله تعالى به الفصحاء والبلغاء على أن يأتوا بمثله ، أو بسورة واحدة ، فعجزوا ، قال سبحانه : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا

(١) النبأ العظيم ص (٥ - ٧) .

(٢) مناهل العرفان (١ / ٧ - ٨) .

شهداء كم من دون الله إن كنتم صادقين ﴿ [البقرة : ٢٣] .
ومدارُ الإعجازِ كامنٌ في أسلوب القرآن ونظمه وبيانه
وخصائصه الفنية المباينة للمعهود من خصائص البيان البشري .

٣ - إنه وحي من الله عز وجل بلفظه ومعناه ، قال تعالى : ﴿ وإِنَّهُ
لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ
مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٢ -
١٩٥] .

٤ - إنه متعبّد بتلاوته ، فقراءته من أعظم القربات إلى الله تعالى ،
وهي ركنٌ من أركان الصلاة التي يؤديها المسلم كل يوم .

٥ - إنه منقولٌ إلينا بالتواتر ، والتواتر : هو ما يرويه جمعٌ يستحيل
عادةً تواطؤهم على الكذب ، عن جمعٍ مثلهم ، في كل مراحل
السند من أوله إلى آخره ، إلى أن يصل هذا النقل إلى رسول الله
ﷺ .

● نزول القرآن :

إنَّ العلمَ بنزول القرآن أساسٌ للإيمان بالقرآن وأنه كلام الله تعالى .
وقد كان لنزول القرآن ثلاث مراحل :

الأولى : النزول إلى اللوح المحفوظ ، قال تعالى :

﴿ بل هو قرآنٌ مجيدٌ * في لَوْحٍ محفوظٍ ﴾ [البروج : ٢١ -

٢٢] .

الثانية : النزول إلى بيت العزّة في السماء الدنيا ، قال تعالى :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ ﴾ [الدخان : ٣] .

وقال عز وجل :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١] .

وقال سبحانه :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وقد جاءت الأخبار الصحيحة تُبين مكان هذا النزول ، فعن ابن عباس قال : فَصِلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ ؛ فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَجَعَلَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَيَرْتَلُهُ تَرْتِيلاً^(١) .

وهذا الموقف في حكم المرفوع ، لأنه لا مجال للرأي فيه ، كما هو مُقَرَّر .

ولعلَّ الحكمة في تعدّد النزول تكمن فيما يلي^(٢) :

— لتفخيم أمر القرآن وأمر من نُزِّلَ عليه ، بإعلام سكّان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزّلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم ، وبإنزاله مرّتين ؛ مرّة جملة ومرّة مُفَرَّقاً ، بخلاف الكتب السابقة ، فقد كانت تنزل جملة مرة واحدة .

— لنفي الشكّ عن القرآن ، وزيادة للإيمان به ، وباعث على الثّقة فيه ، لأنّ الكلام إذا سُجِّلَ في سجّلات متعددة ، وصحّت له وجودات كثيرة ، كان ذلك أنفى للريب عنه ، وأدعى إلى تسليم ثبوته ، ممّا لو سُجِّلَ في سجّل واحد ، أو كان له وجود واحد .

(١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) مناهل العرفان (١ / ٣٩) .

أما النزول الثالث فهو المرحلة الأخيرة ، وكان بوساطة جبريل على قلب النبي محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٣ - ١٩٥] .

وقد روى البخاري مشهد نزول جبريل على الرسول ﷺ أول مرة فقال : فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطّني حتى بلغ منّي الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ منّي الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطّني الثالثة ، ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم ﴾ [العلق : ١ - ٣] .

ثم توالى نزول القرآن الكريم ثلاثة عشر عاماً في مكة ، وعشرة أعوام بعدها في المدينة المنورة ، وكان آخر آيات القرآن نزولاً قوله تعالى :

﴿ واتقوا يوماً ما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ [البقرة : ٢٨٠] .

وقد نزل القرآن مُنجماً مُفرّقاً ، ولهذا التنجيم أسرار وحكم ، نجملها في أربع حكّم رئيسية^(١) :

الحكمة الأولى : تثبيت فؤاد النبي ﷺ ، وتقوية قلبه ، قال تعالى : ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود : ١٢٠] وقال سبحانه : ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [الفرقان : ٣٢] .

(١) المصدر السابق (٤٦ / ١) .

الحكمة الثانية : التدرُّج في تربية هذه الأمة علماء وعملاً . فمن ذلك تيسير حفظ القرآن على الأمة العربية ، وتسهيل فهمه عليهم ، والتمهيد لكمال تخليهم عن عقائدهم الباطلة وعباداتهم الفاسدة ، إضافة إلى تثبيت قلوب المؤمنين ، وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين .

الحكمة الثالثة : مسايرة الحوادث والطوارئ ، في تجديدها وتفريقها ، ومن ذلك إجابة السائلين على أسئلتهم التي يوجهونها إلى رسول الله ﷺ ، ومجارة الأفضية والوقائع في حينها ببيان حكم الله تعالى فيها .

الحكمة الرابعة : الإرشاد إلى مصدر القرآن ، وأنه كلام الله تعالى وحده ، وأنه لا يمكن أن يكون كلام مخلوق أبداً ؛ إذ القرآن محكم السرد ، متين الأسلوب ، آخذٌ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله . وكل شيء فيه مُعجز . قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ﴾ [النساء : ٨٢] . وقال عز وجل : ﴿ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ حَبِيرٍ ﴾ [هود : ١] .

● تدوين القرآن :

كان رسول الله ﷺ يُجهد نفسه بترديد الآيات حين نزولها ليحفظها ويستظهرها ، خشية أن يفوته شيء منها ، فكان يحرك لسانه وهو يعاني ما يعانيه من الوحي ، وما زال كذلك حتى طمأنه ربه عز وجل إذ وَعَدَهُ أَنْ يَجْمَعَهُ لَهُ فِي صَدْرِهِ ، وأنه سُبْحَانَهُ قَدْ تَكْفَّلَ بِحِفْظِهِ وَتَحْفِيزِهِ إِيَّاهُ ، قال تعالى :

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا

قَرَأَهُ فَاتَّبَعَ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتَهُ ﴿﴾ [القيامة : ١٦ - ١٩] .

وقد لَقِيَ القرآن الكريم عناية فائقة من المسلمين ، فاعتنوا بحفظه في صدورهم ، وكتابته ، زيادة في التوثيق والضبط ، وكان هؤلاء الكتَّاب من خيرة الصحابة الكرام ، منهم الخلفاء الأربعة ومعاوية وأبي زيد بن ثابت ، وغيرهم .

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدلِّهم على موضع المكتوب من سورتِه ، مُبَيِّنًا لهم موضعه من القرآن . وكانت كتابتهم على العُسْبِ (١) واللِّخَافِ (٢) والرِّقَاعِ (٣) وقِطْعِ الأَدِيمِ (٤) وعظام الأكتاف والأضلاع . ثم يُوضَع المكتوب في بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثم ولي الخلافة أبو بكر ، وحدثت موقعة اليمامة ، واستُشْهِدَ فيها الكثير من القراء وحفظة القرآن ، وهال ذلك المسلمين ، فدخل عمرُ على أبي بكر ، وأشار عليه بجمع القرآن خشية ضياعه ، فوافق أبو بكر ، وكلف زيد بن ثابت بهذه المهمة ، وقام بها خير قيام ، فكان لا يقبل من أحد شيئاً من القرآن حتى يشهد شاهدان على أنه تلقاه سماعاً من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكتبه بين يديه ، على الرغم من حفظ زيدٍ للقرآن الكريم .

وقد حَفِظَ أبو بكر الصحف التي كتبها زيد بن ثابت ، ثم حفظها عمر بعده ، ثم كانت عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر بعد وفاة عمر ، حتى طلبها منها خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(١) « العسب » : جمع عسيب ، وهو جريد النخل .

(٢) « اللخاف » : جمع لخفة ، وهي الحجارة الرقيقة .

(٣) « الرقاع » : جمع رقعة ، وتكون من جلد أو ورق .

(٤) « الأديم » : الجلد .

وفي عهد عثمان كثرت الفتوحات ، وتفرّق المسلمون في الأقطار ، وكثّر دخول غير العرب في الإسلام ، فخاف أن يختلف الناس في القرآن ، فرأى أن يستأصل الداء قبل استفحاله ، فجمع أعلام الصحابة ، فأجمعوا أمرهم على استنساخ مصاحف يرسلونها إلى الأمصار ، وأن يُؤمر الناس بإحراق كل ما عداها ، وألا يعتمدوا سواها .

وُزعت هذه المصاحف على مكة والشام والبصرة والكوفة والمدينة ، وأبقى عثمان لنفسه مصحفاً عُرف بالمصحف الإمام . وكانت تلك المصاحف هي المرجع للأمة ، في القديم والحاضر ، وما يزال المسلمون يقطفون ثمار ذلك العمل المبارك بمشيئة الله عز وجل .

وقد قام أبو الأسود الدؤلي بتشكيل القرآن الكريم ، فوضع الحركات الإعرابية على هيئة نقط بلون مغاير للون الحروف ، ثم طوّر الفراهيدي عمله ، وجعل الحركات الإعرابية على شكلها الحالي .

وقام نصر بن عاصم بتنقيط القرآن ، فتميّزت الحروف المتشابهة بالنقط . هذا فضلاً عن طباعته المتقنة ، لا سيما في الوقت الحاضر ، حيث تقوم دور النشر بطباعة القرآن وفق أحدث التقنيات المتوفرة ، وأجود الورق ، علاوة على تنوّع الطباعات بين حجم كبير ووسط وصغير ، ومجزّأ ، إضافة إلى حُسن الإخراج وإضافة الألوان ، وما إلى ذلك ، ممّا هو بصدد العناية بالقرآن ، ليصل إلى الناس بأجمل طباعة ، وأقلّ قيمة مادية ، حيث تقف مؤسسات وجمعيات عديدة وراء إيصال نسخ القرآن إلى كل مكان ، متحمّلين الكلفة ، قاصدين وجه الله تعالى ورضاه عنهم ، وهم يقومون بخدمة كتاب الله عز وجل .



الفصل الثاني

قراءة القرآن وحفظه

قراءة القرآن وحفظه

● فضل قراءة القرآن :

أنزل الله تعالى القرآن هدايةً للناس ، وموعظةً لهم ، فمن قرأه فقد حمل سِرَّ الله تعالى في كتابه ، وحفظ علمه سبحانه ، فأحلَّ الحلال ، وحرَّم الحرام ، وعمل بالأوامر ، واجتنب النواهي ، فكان القرآن حجةً له يوم القيامة ، وصار من أهل الله وخاصته .

وقد أثنى عز وجل على الذين يتلون كتاب الله تعالى ، فقال :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٢٩ - ٣٠] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ » قالوا : يا رسول الله مَنْ هُمْ ؟ قال : « هُم أَهْلُ الْقُرْآنِ ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ » (١) .

قال العسكري : هذا على التوسُّع والمجاز ؛ فإنه لما قرَّبهم واختصَّهم كانوا كأهله .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدِبَةُ اللَّهِ ، فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدِبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ . إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ وَالنُّورُ الْمُبِينُ ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ . عَصْمَةٌ لِمَنْ

(١) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم .

تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد ، فاثلوه فإن الله تعالى يأجركم على تلاوته بكل حرفٍ عشرَ حسنةٍ ، أما إني لا أقول الم حرف ، ولكن ألف ولام وميم ، ولا ألفين أحدكم واضعاً إحدى رجليه يدع أن يقرأ سورة البقرة ، فإن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة ، وإن أصغر البيوت من الخير البيت الصّفر من كتاب الله ^(١) .

ومن قرأ القرآن فله فضلٌ عظيم ، ومرتبة عالية ، وثواب جزيل .

قال رسول الله ﷺ :

« أفضلُ العبادة قراءةُ القرآن » ^(٢) .

وقال ﷺ :

« أفضلُ عبادة أمتي قراءةُ القرآن » ^(٣) .

قال المناوي : لأنه أفضل العلوم وأمتها وأهمها ، ولهذا صرّحوا بأن الإنسان يبدأ أولاً بحفظه ، ثم بإتقان تفسيره ، ثم يحفظ من كل فن مختصراً ، ولا يشتغل بذلك عن تعهد دراسة القرآن فإنه أفضل الأذكار ، فلاشتغال بالقراءة أفضل من الاشتغال بسائر الأذكار ، إلا ما ورد فيه شيء مخصوص في وقت أو زمن مخصوص .

ويستحبُّ الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته ، قال الله تعالى :

﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ [آل عمران : ١١٣] .

(١) رواه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي .

(٢) رواه ابن قانع وأبو نصر السجزي في الإبانة .

(٣) رواه البيهقي والدبلي .

وقال ﷺ :

« لا حَسَدَ إِلَّا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » (١) .

قال ابن حجر : قوله : « لا حسد » : أي : لا رخصة في الحسد إلا في خصلتين ، أو لا يَحْسُنُ الحسدُ إن حَسُنَ ، أو أطلق الحسد مبالغة في الحث على تحصيل الخصلتين ، كأنه قيل : لو لم يحصل إلا بالطريق المذموم لكان ما فيهما من الفضل حاملاً على الإقدام على تحصيلهما به ، فكيف والطريق المحمود يمكن تحصيلهما به ؟!

وقال ﷺ :

« يقول الرَّبُّ سبحانه وتعالى : من شغله القرآنُ وذكَّرني عن مسألتي ، أعطيتُه أفضل ما أُعطي السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه » (٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« يجيء صاحبُ القرآنِ يومَ القيامة ، فيقولُ القرآنُ : يا ربِّ حلِّه ، فيلبسه تاجَ الكرامة ، ثم يقول : يا ربِّ زدْه ، أرضَ عنه ، فيرضى عنه . ويقال له : اقرأ ، ويزاد بكل آيةٍ حسنةً » (٣) .

وقال صلوات الله وسلامه عليه :

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه الترمذي .

(٣) رواه ابن حبان .

« نوروا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن » (١) .

وزاد الديلمي في رواية : « فإنها صوامع المؤمنين » . وذلك لأن القلب كالمرآة ، وآثار الصلاة والقرآن تزيده إشراقاً ونوراً وضياء ؛ حتى تتلأأ فيه حلية الحق ، وينكشف منه حقيقة الأمر المطلوب في الدين ، وبذلك تحصل الطمأنينة واليقين . قال تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] .

قال مجاهد وقتادة في قوله تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ : بالقرآن .

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام :

« القرآن أحبُّ إلى الله من السموات والأرض ومن فيهن » (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » (٣) .

وقال صلوات الله وسلامه عليه :

« اقرؤوا القرآن ؛ فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن » (٤) .

قال المناوي : أي حفظه وتدبره وعمل بما فيه ، فمن حفظ ألفاظه ، وضيّع حدوده ، فهو غير واعٍ له .

قال سهل : علامة حبِّ الله حبِّ القرآن ، وعلامة حب القرآن

(١) رواه البيهقي .

(٢) رواه أبو نعيم .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه تمام في فوائده .

حب النبي ﷺ ، وعلامة حب النبي حب السنة ، وعلامة حبها حب الآخرة ، وعلامة حبها بغض الدنيا ، وعلامة بغضها أن لا يتناول منها إلا البلغة^(١) .

وعن أم الدرداء قالت : دخلتُ على عائشة فقلتُ : ما فضلُ من قرأ القرآن على من لم يقرأه ممن دخل الجنة ؟ فقالت عائشة : إنَّ عدد درج الجنة على عدد آي القرآن ، فليس أحد ممن دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن^(٢) .

وعن عبد الله بن عمرو قال : من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه ، إلا أنه لا يُوحى إليه^(٣) .

وقال أيضاً : كل آية من القرآن درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم^(٤) .

قال الزبيدي : يُقال للقارئ : أرق في درجها على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن ، فمن استوفى قراءة جميعه استوى على أقصى درج الجنة ، ومن قرأ جزءاً منها فرقيته في الدرج بقدر ذلك ، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة .

وقال أبو هريرة : إن البيت الذي يُتلى فيه كتاب الله كثر خيريه ، وحضرته الملائكة ، وخرجت منه الشياطين^(٥) .

(١) « البلغة » : ما يكفي لسد الحاجة ، ولا يفضل عنها .

(٢) رواه ابن مردويه .

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد .

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد .

(٥) رواه ابن المبارك في الزهد موقوفاً ، ورواه محمد بن نصر في (قيام الليل) من

حديث أنس مرفوعاً .

أي بُورك فيه ، وحضرته الملائكة لاستماع القرآن ، فيُضيء لهم البيت ، ويحضرون بالرحمة والخير والبركة والسكينة .

وقال سفيان الثوري : إذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه .
وذلك تعظيماً لما قرأه ، واحتراماً لقارئه ، والملائكة أكثر الخلق حُباً في استماع القرآن من بني آدم .

وقال مجاهد : القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة ، فيقول : يا رب ! جعلتني في جوفه ، فأسهرت ليلته ، ومنعتُ جسده من شهوته ، ولكل عامل من عمله عمالة ، فيوقف له عز وجل ، فيقول : ابسط يدك ، فتملاً من رضوان الله ، فلا يسخط عليه بعدها أبداً ، ويُقال له : اقرأ ، وارق ، فيُرفع بكل آية درجة ، ويُزاد بكل آية درجة^(١) .

وقال ابن عباس : ما يمنع أحدكم إذا رجع من سوقه أو من حاجته إلى أهله أن يقرأ القرآن فيكون له بكل حرفٍ عشر حسنات^(٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« من قرأ القرآن وحفظه أدخله الله الجنة وشفَّعه في عشرةٍ من أهل بيته ، كلهم قد استوجب النار »^(٣) .

ولقراءة القرآن فضيلة كبرى ، وهي نزول الرحمة وحضور الملائكة ، فعن أسيد بن حُضَيْر أنه :

بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة ، وفرسه مربوطة عنده ؛ إذ

(١) رواه ابن المبارك في الزهد .

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد ، ومحمد بن نصر في (قيام الليل) .

(٣) رواه ابن ماجه .

جالت الفرس ، فسكت فسكنت ، فقرأ فجالت الفرس ، فسكت
وسكنت الفرس ، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف . وكان ابنه يحيى
قريباً منها فأشفق أن تُصيبه ، فلما اجتّره رفع رأسه إلى السماء حتى
ما يراها ، فلما أصبح حدّث النبي ﷺ . فقال له : « اقرأ يا ابنَ
حُضَيْرٍ ، اقرأ يا ابنَ حُضَيْرٍ » قال : فأشفقتُ يا رسولَ الله أن تطأ يحيى ،
وكان منها قريباً ، فرفعتُ رأسي فانصرفتُ إليه ، فرفعتُ رأسي إلى
السماء ، فإذا مثلُ الظلّة فيها أمثال المصاييح ، فخرجتُ حتى لا أراها ،
قال : « وتدرى ماذاك » ؟ قال : لا ، قال : « تلك الملائكة دنتُ
لِصَوْتِكَ ، ولو قرأتُ لأصبحتُ ينظر الناسُ إليها ، لا تتواري
منهم » (١) .

وقد ضرب رسولُ الله ﷺ لقارئ القرآن مثلاً ؛ فقال :
« مثَلُ الذي يقرأ القرآن كالأترجة ، طعمها طيبٌ وريحها طيبٌ .
والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيبٌ ولا ریح لها ، ومثَلُ الفاجر
الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ، ريحها طيبٌ وطعمها مر . ومثَلُ
الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنظلة ، طعمها مر ، ولا ریح
لها » (٢) .

قيل : خصَّ صفة الإيمان بالطعم وصفة التلاوة بالريح ؛ لأن الإيمان
ألزم للمؤمن من القرآن ، إذ يمكن حصول الإيمان دون القراءة ،

(١) رواه البخاري . « اجتّره » : أبعده عن المكان الذي هو فيه حتى لا تطأه الفرس ،
أي تصيبه برجلها .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

وكذلك الطعم ألزم للجوهر من الريح ؛ فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه .

ثم قيل : الحكمة في تخصيص الأترجة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة ، لأنه يُتداوى بقشرها ، ويُستخرج من حبّها دهن له منافع ، فناسب أن يمثّل به القرآن الذي لا تقربه الشياطين ، لأنّ الجنّ لا تقرب البيت الذي فيه الأترج . ثم إن غلاف حبه أبيض فناسب قلب المؤمن .

وعن وهب الذمّاري قال : من آتاه الله القرآن فقام به آناء الليل وآناء النهار ، وعمل بما فيه ، ومات على الطاعة بعثه الله يوم القيامة مع السّفرة والأحكام^(١) .

قال سعيد بن عبد العزيز التنوخي : السّفرة : الملائكة ، والأحكام : الأنبياء .

وقال صلى الله عليه :

« الماهر بالقرآن مع السّفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ، ويتتبع فيه ، وهو عليه شاقّ له أجران »^(٢) .

أي أنّ الحاذق بالقرآن ، الذي لا يتوقف ، ولا يشقّ عليه قراءته ، لجودة حفظه ، وإتقانه ، ورعاية مخارجه بسهولة ، له أجر كبير ، بحيث يكون رفيقاً للملائكة المطيعين لربهم .

قال القاضي : الماهر بالقرآن ، حافظ له ، أمين عليه ، يؤدّيه إلى المؤمنين ، فيكشف لهم ما يلتبس عليهم ، معدود من عداد السفرة ،

(١) رواه الدارمي .

(٢) رواه مسلم . « التتبع » : التردّد في الكلام عيّاً وصعوبة .

فإنهم الحاملون لأصله ، الحافظون له ، ينزلون به على أنبياء الله ورسله ،
ويؤدون إليهم ألفاظه ، ويكشفون معانيه .

أما الذي يتوقف في تلاوته ، ويتردد فيها لخصر أو عي أو ضعف
حفظ ، فله أجران : أجر بقراءته ، وأجر بمشقتة ، ودرجات الماهر
فوق ذلك كله ، لأنه قد كان القرآن متعتاً عليه ، ثم ترقى عن ذلك إلى
أن شبهه بالملائكة .

وقال عقبة بن عامر قال : خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة ،
فقال : « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ ،
فِيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ ، فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ » ؟ فقلنا : يا
رسول الله ، نحب ذلك . قال : « أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ
أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ
مِنْ ثَلَاثٍ ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبْلِ » (١) ؟

ثم إن قراءة القرآن تُعلي من شأن صاحبها ، وترفع من درجته ، فعن
عامر بن وائلة ، أن نافع بن عبد الحارث لقي عمرَ بعُسفان ، وكان عمرُ
يستعمله على مكة . فقال : من استعملت على أهل الوادي ؟ فقال :
ابن أُبْرَى . قال : وَمَنْ ابْنُ أُبْرَى ؟ قال : مَوْلَى مِنْ مَوَالِينَا . قال :
فاستخلفت عليهم مولى ؟ قال : إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِنَّهُ
عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ . قال عمر : أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ :

(١) رواه مسلم .

« الصفة » : موضع مظلل من المسجد النبوي كان فقراء المهاجرين يأوون إليه .

« بطحان » : اسم موضع بقرب المدينة .

« العقيق » : واد بالمدينة . « كوماوين » الكوماء من الإبل : العظيمة السنام .

« إن الله يَرَفَعُ بهذا الكتابِ أقواماً وَيَضَعُ به آخرين » (١) .

وعن ابن عباس قال : قال رسولُ الله ﷺ :

« إن الذي ليس في جَوْفِهِ شيءٌ من القرآنِ كالبيتِ الحَرَبِ » (٢) .

قال الطيبي : أراد بالجوف هنا القلب ؛ إطلاقاً لاسم المحلِّ على الحالِّ . قال تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ [الأحزاب : ٤] .

● أثر قراءة القرآن في النفوس :

وكان للقرآن الكريم تأثير كبير في النفوس ، لبلاغته وبيانه ، وجمال الكلمة والتعبير فيه ، وهو المثلُّ الأعلى للبلاغة العربية ، لذا نجد الناس منذ الجاهلية قد دُهِشوا لبيانه ، وتاقت نفوسهم لسماع آياته ، فهذا هو الوليد بن المغيرة يحارُّ في وصف القرآن ، فلا يملك إلا أن يقول : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لَعَذْقٌ ، وإن فَرَعه لَجَنَاةٌ ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِفَ أنه باطل (٣) .

وها هو النجاشي - ملك الحبشة - يسمع شيئاً من القرآن من جعفر بن أبي طالب ، فيبكي حتى اخضلت لحيته ، وبكى معه أساقفته ، ثم قال مخاطباً وفد قريش : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فلا والله لا أُسَلِّمُهُم إليكما ،

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الترمذي وأحمد والحاكم .

(٣) سيرة ابن هشام (٢٨٩/١) .

« العذق » : النخلة .

ولا يُكادون^(١) .

وكان للقرآن العظيم دور في إذكاء روح البطولة في نفوس المجاهدين المسلمين ، و تهدئة خواطرهم ، وسكينة أرواحهم ، ففي إحدى المعارك صلى سعد بن أبي وقاص الظهر ، وأمر الغلام الذي كان ألزمه عمر بن الخطاب إياه - وكان من القراء - أن يقرأ سورة الجهاد ، وكان المسلمون يتعلمونها كلهم ، فقرأ على الكتيبة الذين يلونه سورة الجهاد ، فقرأت في كل كتيبة ، فهشت قلوب الناس وعيونهم ، وعرفوا السكينة مع قراءتها^(٢) .

ومن الناس إذا قرأ القرآن أو سمعه يشهق لشدة تأثير الكلمات القرآنية في نفسه ، وهذه الشهقة لها أسباب :

أحدها : أن يلوح له عند السماع درجة ليست له فيرتاح إليها فتحدث له الشهقة ، فهذه شهقة شوق .

وثانيها : أن يلوح له ذنب فيشهق خوفاً وحنناً على نفسه ، وهذه شهقة خشية .

وثالثها : أن يلوح له نقص فيه لا يقدر على دفعه فيحدث له ذلك حزنًا ، فيشهق شهقة حزن .

ورابعها : أن يلوح له كمال محبوبه ، ويرى الطريق إليه مسدودة عنه ، فيحدث ذلك شهقة أسفٍ وحزن .

وخامسها : أن يكون قد توارى عنه محبوبه واشتغل بغيره ، فذكره

(١) المصدر السابق (١ / ٣٦٠) .

« المشكاة » : الكوة غير النافذة .

(٢) انظر : تاريخ الطبري (٣ / ٤٧) .

السماعُ مَحْبُوبُهُ ، فَلَاحَ لَهُ جَمَالُهُ ، وَرَأَى الْبَابَ مَفْتُوحاً وَالطَّرِيقَ ظَاهِرَةً ، فَشَهَقَ فَرِحاً وَسُرُوراً بِمَا لَاحَ لَهُ .

وَبِكُلِّ حَالٍ ؛ فَسَبَبُ الشَّهَقَةِ قُوَّةُ الْوَارِدِ ، وَضَعْفُ الْمَحَلِّ عَنِ الْإِحْتِمَالِ . وَالْقُوَّةُ أَنْ يَعْمَلَ ذَلِكَ الْوَارِدُ عَمَلَهُ دَاخِلًا وَلَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ أَقْوَى لَهُ وَأَدْوَمُ ، فَإِنَّهُ إِذَا أَظْهَرَ ضَعْفَ أَثَرِهِ وَأَوْشَكَ انْقِطَاعَهُ (١) .

● الْبُكَاءُ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ :

وَقَدْ أَتَنَى اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، فَوَصَفَهُمُ بِالْبُكَاءِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، فَقَالَ عِزَّ وَجَلَّ :

﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾
[مريم : ٥٨] .

قال ابنُ عباسٍ : المراد به القرآنُ خاصَّةً ، وأنهم كانوا يسجدون ويبكون عند تلاوته .

وقال اللهُ عِزَّ وَجَلَّ :

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾
[الإسراء : ١٠٩] .

قال القرطبي : هذه مبالغة في صفتهم ، ومدح لهم . وحق لكل من توسَّم بالعلم ، وحصل منه شيئاً أن يجري إلى هذه المرتبة ، فيخشع عند استماع القرآن ، ويتواضع ، ويذلل .

(١) « الفوائد » لابن القيم ص (٢٥٤) .

وفي مسند الدارمي عن التَّيْمِي قال : مَنْ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَبْكِهِ خَلْقٌ إِلَّا يَكُونُ أُوتِيَ عِلْمًا ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَعَتَ الْعُلَمَاءَ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ .

وقال الحسن : الأذقان عبارة عن اللحي ؛ أي يضعونها على الأرض في حال السجود ، وهو غاية التواضع .

وقوله تعالى : ﴿ يَبْكُونَ ﴾ دليل على جواز البكاء في الصلاة من خوف الله تعالى ، أو على معصيته في دين الله ، وأن ذلك لا يقطعها ولا يضرّها .

ذكر ابنُ المبارك في « الزهد » قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن مطرف ، عن أبيه قال : أتيتُ النبي ﷺ وهو يصلي ، ولجوفه أزيز^(١) كأزيز المرجل . - يعني يبكي - .

وفي كتاب أبي داود : وفي صدره أزيز كأزيز الرحي من البكاء .

وقال النووي : البكاء عند قراءة القرآن صفة العارفين وشعار الصالحين .

وقال الغزالي : يُسْتَحَبُّ البكاء مع القراءة وعندها ، وطريقُ تحصيله أن يحضر قلبه الحزن والخوف بتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد ، والوثائق والعهود ، ثم ينظر تقصيره في ذلك ، فإن لم يحضره حزن فليبك على فقد ذلك ، وأنه من أعظم المصائب .

وقد بكى رسولُ الله ﷺ عند قراءته القرآن ، وسماعه إياه من غيره .

(١) « أزيز » : صوت البكاء وخنين من الخوف ، وقيل : هو أن يجيش جوفه ويعلّي بالبكاء .

فمن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « اقرأ عليّ » . قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : « إني أشتي أن أسمع من غيري » . قال : فقرأت النساء حتى إذا بلغت : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ [الآية : ٤١] قال لي : « كف » أو « أمسك » ، فرأيت عينيه تذرفان (١) .

قال ابن بطال : إنما بكى ﷺ عند تلاوته هذه الآية لأنه مثل نفسه أهوال يوم القيامة ، وشده الحال الداعية له إلى شهادته لأمة بالتصديق ، وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف ، وهو أمرٌ يحق له طول البكاء .

وقال القرطبي : قال علماؤنا : بكاء النبي ﷺ إنما كان لعظيم ما تضمنته هذه الآية من هول المطلع وشدة الأمر ؛ إذ يؤتى بالأنبياء شهداء على أمهم بالتصديق والتكذيب ، ويؤتى به ﷺ يوم القيامة شهيداً .

وقال ابن حجر : والذي يظهر أنه بكى رحمةً لأُمَّته ؛ لأنه علم أنه لا بُدَّ أن يشهد عليهم بعملهم ، وعملهم قد لا يكون مستقيماً ، فقد يفضي إلى تعذيبهم .

وعن مبارك بن فضالة ، عن الحسن : أنه قرأ : ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ [النجم : ٥٩ - ٦٠] قال : والله إن كان أكيس القوم في هذا الأمر لمن بكى ، فابكوا هذه القلوب ، وابكوا هذه الأعمال ، فإن الرجل لتبكي عيناه ؛ وإنه لقاسي القلب (٢) .

وقال أبو بكر الصديق : من استطاع منكم أن يبكي فليبك ، ومن

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد .

لم يستطع فليتبأك^(١) .

● فَضْلُ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ :

وقد أنزل الله سبحانه القرآن ليذكر أولو الألباب ، ويواظبوا على قراءته ، ويتخذوه أنيسهم في السفر ، وجليسهم في الحضر ، فهو كتاب الله العظيم ، وكلام رب العالمين ، فعلى المسلم أن يُكثر من تلاوته ، لا سيما وهو يقف بين يدي مولاه ، طالباً المغفرة ، ملتتماً الرحمة ، مناجياً خالقه بخشوع وتضرُّع .

وقد ورد في السنَّة الشريفة فَضْلُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ ، فعن أبي أمامة قال : قال النبي ﷺ : « مَا أَدْنَى اللَّهِ لِعَبْدٍ فِي شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ رَكَعَتَيْنِ يُصَلِّيهِمَا ، وَإِنَّ الْبِرَّ لَيَدْرُ عَلَى رَأْسِ الْعَبْدِ مَا دَامَ فِي صَلَاتِهِ ، وَمَا تَقَرَّبَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ »^(٢) .

قال أبو النَّضْر : يعني القرآن .

وقال ﷺ :

« قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ أَفْضَلُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ ، وَالتَّسْبِيحُ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ ، وَالصَّدَقَةُ أَفْضَلُ مِنَ الصَّوْمِ ، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ »^(٣) .

(١) رواه أبو نعيم في الحلية .

(٢) رواه الترمذي وأحمد والحاكم .

« ما أدنى الله لعبد » : أي ما أصغى واستمع ، أي أقبل الله عليه بالرأفة والرحمة .

« ليدر » : أي ينثر ويفرق ، أي ينزل الرحمة أو الثواب عليه .

(٣) رواه الدارقطني في الأفراد والبيهقي .

وقال عليه الصلاة والسلام :

من قرأ القرآن في صلاة قائماً كان له بكل حرف مئة حسنة ، ومن قرأه قاعداً كان له بكل حرف خمسون حسنة ، ومن قرأه في غير صلاة كان له بكل حرف عشر حسنات ، ومن استمع إلى كتاب الله كان له بكل حرف حسنة « (١) .

وعن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال :

« مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ » ثلاثاً ، غَيْرُ تَمَامٍ . فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ : إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ ، فَقَالَ : اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ . فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : حَمَدَنِي عَبْدِي . وَإِذَا قَالَ : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي . وَإِذَا قَالَ : ﴿ مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ قَالَ : مَجَدَّنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً : فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي - . فَإِذَا قَالَ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ . فَإِذَا قَالَ : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قَالَ : هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ « (٢) .

وعن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ أنه قال :

(١) رواه الديلمي .

(٢) رواه مسلم .

« خِدَاجٌ » : ناقصة .

« الصَّلَاةُ » : المراد بها هنا الفاتحة .

« من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمئة آية كتَبَ من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المُقنَّطرين » (١) .

وقال صلى الله عليه :

« إذا قام أحدكم من الليل فليستك ، فإنَّ أحدكم إذا قرأ في صلاته وَضَعَ مَلَكٌ فاهُ على فيه ، ولا يخرجُ من فيه شيءٌ إلا دخل فَمَ المَلِكِ » (٢) .

قال المناوي : قضية الحديث أنَّ تَلَقَّفَ المَلِكُ القراءَةَ إنما يكون فيما وقع في الصلاة بخلافه خارجها ، وقد يوجَّه بأنَّ الصَّلَاةَ مظنة الفيوض الرحمانية ، فاجتماعُ شرف القرآن وشرف الصلاة يزيد دُنُوَّ الأرواح القدسية . وفيه نُدْبُ الإكثار من القراءة لا سيما في الصلاة وبيان فضيلة قراءة القرآن والسواك وإن كان الإنسان نقيَّ الأسنان ، قويم المزاج ، واعتناء المَلَأُ الأعلى بذلك ، وحرصهم عليه .

ثم إنَّ الصلاة أفضل الأعمال ، وأحبُّها إلى الله عز وجل . قال القرطبي : ومن فضلها سُمِّيَت جميع الأعمال بها ، قال الله تعالى مخبراً عن قوم شعيب عليه السلام :

﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ [هود : ٨٧] .

أي : أعمالك الصالحة ، وذلك أنه كان كثير الصلاة ، فحملوا سائر أفعاله على معظمها وهي الصلاة .

وقيل : أُطْلِقَ على كُلِّ عملٍ صالح اسمُ الصلاة تَشْرِيفاً ، كما أُطْلِقَ

(١) رواه أبو داود وابن حبان .

(٢) رواه البيهقي وتَمَّام في فوائده والضياء وأبو نعيم .

عليها اسمُ الإيمان ، إذ المعنى في الكلِّ واحد ، ولأنَّها عبادةُ الملائكة ، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٦] .

وقال في جميع الخلق :

﴿ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [الرعد : ١٥] .

وجعلها الله من خصال إسماعيل ، فقال :

﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ ﴾ [مريم : ٥٥] .

ومن دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام :

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ [إبراهيم : ٤٠] .

وقال صلى الله عليه :

« وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ »^(١) .

وعن وهب بن منبه قال : قرأت في بعض الكتب المنزلة من السماء : إنَّ الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام : أتدري لِمَ اتَّخَذْتُكَ خَلِيلًا ؟ قال : لا ، يا رب . قال : لِذَلَّةِ مَقَامِكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الصَّلَاةِ^(٢) .

ولشرفها وفضلها كان مقصودها الأعظم تجديد العهد بالله عز وجل ، ومناجاته ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه : « المصلِّي يُناجي رَبَّهُ عَزَّ

(١) رواه أحمد والنسائي .

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية .

وجَلَّ « (١) .

● المحافظة على التلاوة والإكثار منها :

من حقّ كتاب الله تعالى علينا أن نداوم على تلاوته ، ونكثر من قراءته ، ونقوم على ختمه كل فترةٍ من الزمن ، ذلك أن القلوب يركبها الرّينُ بمباشرة المعاصي والآثام ، فيذهب بجلائها ، كما يعلو الصّدأ وجّه المرآة والسيّف ، وقراءة القرآن تزيل هذا الغطاء ، وتعيد القلب المؤمن إلى حالة الإيمان واليقين ، وتجدد فيه محبة العمل الصالح والرغبة في اكتسابه .

فعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد » قالوا : يا رسول الله ، فما جلاؤها ؟ قال : « تلاوة القرآن » (٢) .

وكان للسلف في قدرِ القراءة عادات ، فمنهم من كان يختم في اليوم والليلة ختمة أو اثنتين أو أكثر ! .

وقد ذمّت عائشة ذلك ، فعن مسلم بن مخراق قال : قلت لعائشة : إنّ رجلاً يقرأ أحدهم القرآن في ليلةٍ مرتين أو ثلاثاً ، فقالت : قرؤوا ولم يقرؤوا ! كنتُ أقومُ مع رسول الله ﷺ ليلة التمام ، فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء ، فلا يمرُّ بآيةٍ فيها استبشار إلاّ دعا ورغب ، ولا بآيةٍ فيها تخويف إلاّ دعا واستعاذ (٣) .

ومن السلف من كان يختم في ليلتين ، ويليه من كان يختم في كل

(١) رواه مالك في الموطأ ، وأحمد .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » ، ومحمد بن نصر في « قيام الليل » .

(٣) رواه ابن أبي داود .

ثلاث . قال السيوطي : وهو حسن . وكره جماعة الختم في أقل من ذلك ، لقوله ﷺ :

« لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث » (١) .

وقال ابن مسعود : من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز (٢) .
وروي عن معاذ بن جبل أنه كان يكره أن يُقرأ القرآن في أقل من ثلاث (٣) .

وعن مجاهد قال : قال رجل : يا رسول الله ، من قرأ القرآن في سبع ؟ قال : « فذلك عملُ المقرِّين » . قالوا : يا رسول الله ، فمن قرأه في خمس ؟ قال : « ذلك عملُ الصّديقين » . قالوا : يا رسول الله ، فمن قرأه في ثلاث ؟ قال : « ذلك عملُ عبّاد النّبیین ، وذلك الجهدُ ، ولا أراكم تطيقونه ؛ إلا أن تصبروا على مكابدة الليل ، ويبدأ أحدكم بالسّورة وهمّه في آخرها » . قالوا : يا رسول الله ، وفي أقل من ثلاث ؟ قال : « لا ، ومن وجد منكم نشاطاً فليجعله في حُسْنِ تلاوتها » (٤) .

وعن سعيد بن المنذر قال : قلتُ : يا رسول الله ، أقرأ القرآن في ثلاثٍ ؟ قال : « نعم ، إن استطعت » (٥) .

ويلي هذا من حَتَم في أربع ، أو خمس ، ثم في ست ، ثم في سبع ،

(١) رواه أبو داود والترمذي .

(٢) رواه الطبراني في الكبير .

(٣) ذكره ابن كثير في « فضائل القرآن » .

(٤) ذكره الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » .

(٥) رواه أحمد .

وهذا أوسط الأمور وأحسنها ، وهو فعلُ الأكثرين من الصحابة وغيرهم .

فعن عبد الله بن عمرو قال : قال لي رسولُ الله ﷺ : « اقرأ القرآنَ في كل شهر » قال : قلتُ : يا نبيَّ الله ، إني أطيعُ أفضلَ من ذلك . قال : « فاقْرأه في كل عشرين » قال : قلتُ : يا نبيَّ الله ، إني أطيعُ أفضلَ من ذلك . قال : « فاقْرأه في كُلِّ عَشْرٍ » قال : قلتُ : يا نبيَّ الله ، إني أطيعُ أفضلَ من ذلك . قال : « فاقْرأه في كُلِّ سَبْعٍ ، ولا تَزِدْ على ذلك » .

قال : فَشَدَّدْتُ ، فَشَدَّدَ عَلَيَّ .

قال : وقال لي النبي ﷺ : « إن لا تدري لعلك يطول بك عُمُرٌ » (١) .

وعن قيس بن أبي صعصعة قال : يا رسول الله كم اقرأ القرآن ؟ قال : « في خمسة عشر » قلت : إني أجدي أقوى من ذلك ، قال : « فاقْرأه في جمعة » (٢) .

وكان عثمان بن عفان - رضي الله عنه - يفتتحُ القرآن ليلة الجمعة ، ويختمه ليلة الخميس (٣) .

قال القرطبي : وذهب كثيرٌ من العلماء إلى منع الزيادة على السبع ؛ أخذاً بظاهر المنع في قوله ﷺ : « فاقْرأه في سَبْعٍ ولا تَزِدْ » ، واقتداءً برسول الله ﷺ ، فلم يُرَوْ عنه أنه ختمَ القرآن كله في ليلة ، ولا في أقل

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه أبو عبيد في « فضائل القرآن » .

(٣) رواه أبو داود .

من السبع ، وهو أعلم بالمصالح والأجر ، وفضل الله يؤتیه من يشاء ، فقد يُعطي على القليل ما لا يُعطي على الكثير .

وَحَمَلَ بَعْضُهُمْ قَوْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَلَا تَزِدْ » من باب الرِّفْقِ وخوف الانقطاع ، فَإِنَّ أَمْنَ ذَلِكَ جاز ، على أَنَّ ما كَثُرَ من العبادة والخير ، فهو أَحَبُّ إلى الله تعالى ، والأولى تركُ الزيادة ، لأنَّ قَوْلَهُ : « وَلَا تَزِدْ عَلَى السَّبْعِ » ، وكذلك قَوْلَهُ : في الخمس ، حَرَجَ مخرج التعليم .

وقال أبو الليث في « البستان » : ينبغي للقارئ أن يختم في السنة مرتين ؛ إن لم يقدر على الزيادة .

وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال : مَنْ قرأ القرآن في كلِّ سنة مرتين فقد أدى حقَّه ، لأنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَضَهُ على جبريل في السنة التي قُبِضَ فيها مرتين .

وقال غيره : يُكره تأخير الختمة أكثر من أربعين يوماً بلا عُذر . ونصَّ أحمد على ذلك ، لأنَّ عبد الله بن عمر سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : في كمَّ نختم القرآن ؟ قال : « في أربعين يوماً »^(١) .

وقال النووي :

المختارُ أنَّ ذلك يَختلف باختلافِ الأشخاص ، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف ، فليقتصر على قدر يحصل له معه فهم ما يقرأ ، وكذا مَنْ كان مشغولاً بنشر العلم ، أو فصل الحكومات بين المسلمين ، أو غير ذلك من مهمَّات الدِّين والمصالح العامَّة للمسلمين ، فليقتصر على قدرٍ لا يحصل له بسببه إخلالٌ بما هو مرصود له ولا فوات

(١) رواه أبو داود .

كأله ، ومن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حدّ الملل أو الهزيمة في القراءة^(١) .

وقال بعضُ السلف :

إذا ختم أول النهار صلّت عليه الملائكة حتى يُمسي ، وإذا ختم في أول الليل صلّت عليه الملائكة حتى يصبح^(٢) .

● فيما يفعله القارئ عند ختم القرآن :

يُسنّ صومُ يوم الختم^(٣) . فعن المسيب بن رافع أنه كان يختم القرآن في ثلاث ، ويصبح اليوم الذي يختم فيه صائماً^(٤) .

ويُسنّ أيضاً أن يُحضِرَ القارئُ أهله وأصدقاه . فعن أنس : أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله^(٥) .

وعن الحكم بن عتبة قال : أرسل إليّ مجاهد وعنده ابنُ أبي أمامة ، وقالوا : إنا أرسلنا إليك لأننا أردنا أن نختم القرآن ، والدعاء يُستجاب عند ختم القرآن^(٦) .

وعن عبد الرحمن بن الأسود قال : بلغني أنه يصلي عليه إذا ختم^(٧) .

(١) « الأذكار » للنووي ص (١٨٨) .

« الهزيمة » : السرعة التي يذهب فيها بعض الحروف .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه ابن أبي داود .

(٤) رواه ابن أبي شيبة .

(٥) رواه الطبراني وابن المبارك في الزهد .

(٦) رواه ابن أبي داود .

(٧) رواه محمد بن نصر في (قيام الليل) والدارمي وابن أبي شيبة .

وعن مجاهد قال : الرحمة تنزل عند ختم القرآن^(١) .
ويُسَنُّ الدعاء عقب الختم .

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فَلَهُ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ »^(٢) .
وقال عليه الصلاة والسلام :

« مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ، وَحَمَدَ الرَّبَّ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ، فَقَدْ طَلَبَ الْخَيْرَ مَكَانَهُ »^(٣) .

وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو عند ختم القرآن : « اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِالْقُرْآنِ ، واجعله لي أماناً ونوراً وهدى ورحمة ، اللهم ذكّرني منه ما نسيت ، وعلمني منه ما جهلت ، وارزقني تلاوته آناء الليل ، واجعله لي حُجَّةً يا رب العالمين »^(٤) .

ثم إذا خَتَمَ ، وقراً المعوذتين ، قرأ الفاتحة ، وقراً خمس آيات من البقرة إلى قوله : ﴿ هُمُ الْمَفْلُحُونَ ﴾ .

ويُسَنُّ أيضاً تكرار الختمة بعد الختمة ، فقد سُئِلَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أيُّ العمل أحبّ إلى الله ؟ قال : « الْحَالُ الْمُرْتَحِلُ »^(٥) .

وفي « النهاية » لابن الأثير : قيل : وما ذاك ؟ قال : « الْخَاتِمُ الْمَفْتِيحُ » . وهو الذي يَخْتَمُ الْقُرْآنَ بتلاوته ، ثم يفتتحُ التلاوة من أوله ، شَبَّهَ بِالْمَسَافِرِ يَبْلُغُ الْمَنْزَلَ فَيَحُلُّ فِيهِ ، ثم يفتتح سِيرَهُ : أي يبتدؤه .

(١) رواه ابن أبي شيبة .

(٢) رواه الطبراني .

(٣) رواه البيهقي في الشعب .

(٤) رواه البيهقي في دلائل النبوة والشعب .

(٥) رواه الترمذي .

وكذلك قراء أهل مكة إذا ختموا القرآن بالتلاوة ابتدؤوا ، وقرؤوا ،
الفاحة وخمس آيات من أول سورة البقرة ، ثم يقطعون القراءة ،
ويُسْمُون فاعل ذلك : الحال المرتحل ، أي ختم القرآن وابتدأ بأوله ،
ولم يفصل بينهما بزمان . وقيل : أراد بالحال المرتحل : الغازي الذي لا
يقفل عن غزو إلا عقبه بآخر .

ويستحب التكبير من أول سورة ﴿ والضحي ﴾ ، لأن القرآن
عبادة تنقسم إلى أبعاض معدودة متفرقة ، فكانت كصيام شهر
رمضان . وقد أمر الله الناس إذا أكملوا العدة أن يكبروا على ما هداهم ،
فالقياض على ذلك أن يكبر قارئ القرآن .

وروى أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه كان إذا بلغ آخر
﴿ والضحي ﴾ كبر بين كل سورتين تكبيرة « الله أكبر » ، هكذا إلى
أن يختم القرآن .

وحكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في « شرح الشاطبية » عن
الشافعي أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة ، فقال : أحسنت
وأصبت السنة .

ثم اختلف القراء في موضع التكبير وكيفيته ، فقال بعضهم : يكبر
من آخر ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ وقال آخرون : من آخر
﴿ والضحي ﴾ .

وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول : الله أكبر . ومنهم من
يقول : الله أكبر لا إله إلا الله ، والله أكبر .

وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة الضحي أنه لما تأخر
الوحي عن رسول الله ﷺ ، وفترت تلك المدة ، ثم جاء الملك فأوحى إليه

﴿ والضحي * والليل إذا سجي ﴾ السورة بتامها ، كَبَّرَ فرحاً
وسروراً .

قال ابن كثير : ولم يُرَوَ ذلك بإسنادٍ يُحْكَمُ عليه بصحة ولا
ضعف ؛ فالله أعلم^(١) .

قال القرطبي^(٢) : واختلفَ القراءُ في وصل السورة بالتكبير
والسكت بينهما ، فُرُوِي أَنَّ القارئ يسكت إذا فرغ من السورة
سكوتاً مقطوعاً ، ثم يُكَبِّرُ ويسمل ويقرأ .

وروي أنه يُكَبِّرُ ويسمل ، ويصل التكبير بآخر السورة ، ولا
يسكت بينهما . ولا يجوز الوقوف على التكبير دون أن يصله بالبسملة ثم
بأول السورة المؤتلفة .

فإذا فرغ القارئ من الختم أتبع التكبير بالحمد والتصديق ،
والثناء ، والصلاة على رسول الله ﷺ ، فيقول مثلاً^(٣) :

الحمدُ لله الحي القيوم الذي لا يموت ، ذي الجلال والإكرام ،
والمواهب العظام ، والمتكلم بالقرآن ، والخالق للإنسان ، والمنعم عليه
بالإيمان ، والمرسل رسوله بالبيان ، وهو أصدق القائلين . أحمدُه حَمْدَ
المخلصين ، وأتقىه ، وأتوكل عليه توكل الموقنين ، وأرتجيه .

وأشهدُ أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، العزيز الوهاب ،
القدير الغالب ، غفار الذنوب ، وستار العيوب ، وعلام الغيوب ،
وقابل التوب ممن يتوب ، وكاشف الغموم ، والمجيب دعوة المظلوم ،

(١) انظر تفسير ابن كثير (٥٥٧/٤) .

(٢) (التذكار في أفضل الأذكار ص ١٠٩ وما بعدها) .

(٣) المصدر السابق (ص ٩٩ - ١٠٠) .

ذلك الله الحي القيوم ، ذو الجلال والإكرام ، الشافي من الأدواء والأسقام ، والفارج الكروب العظام ، ربّ المشارق والمغرب ، وفاطر السماوات والكواكب ، والمتفضّل بالآلاء والمواهب ، وخالق الإنسان من طين لازب .

وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدّين كلّه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . بلّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، ونهَجَ شرائع الملة ، وعبد ربّه حتى أتاه اليقين .

صلى الله عليه وسلّم وعلى آله الطّيبين الطاهرين ، وسلّم تسليمًا كثيرًا .

ثم يدعو بما تيسر له .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ :

« من قرأ القرآن أو جمع القرآن كانت له عند الله دعوة مستجابة ، إن شاء عجلها له في الدنيا ، وإن شاء أدخرها له في الآخرة » (١) .

وقال ﷺ :

« مع كل ختمة دعوة مُستجابة » (٢) .

وكان الإمام البخاري يعمل كذلك ، ويستشهد بهذه الجملة .

● ثواب من قرأ القرآن فأعربه :

قال الأزهري : الإعرابُ والتعريب معناهما واحد ، وهو الإبانة ؛

(١) رواه الطبراني في الأوسط .

(٢) رواه البيهقي .

يُقال : أَعْرَبَ عنه لسانه وعَرَّبَ : أي أبان وأفصح .

وسُمِّي الإعرابُ إعراباً ، لتبيينه وإيضاحه .

وعَرَّبَ منطقهُ ؛ أي هَدَّبَهُ من اللَّحْنِ . وأَعْرَبَ كلامه : إذا لم يَلْحَنَ في الإعراب (١) .

وقال أبو بكر بن الأنباري : جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه وتابعيهم - رضوان الله عليهم - من تفضيل إعراب القرآن ، والحضَّ على تعليمه ، وذمَّ اللَّحْنَ وكرهيته ، ما وَجَبَ به على قُرَّاء القرآن أن يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد في تعلّمه .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« أعرّبوا القرآن واتمسّوا غرائبه » (٢) .

قال المناوي : أي تعرّفوا ما فيه من بدائع العربية ، ودقائقها ، وأسرارها ، وليس المراد الإعراب المصطلح عليه عند النحاة ؛ لأنَّ القراءة مع اللحن ليست قراءة ولا ثواب له فيها .

و « غرائبه » : أي معنى ألفاظه التي يحتاجُ البحثُ عنها في اللغة أو فرائضه وحدوده وقصصه وأمثاله ، ففيه علم الأولين والآخرين .

وقال الغزالي : ولا يعرّبه إلا مَنْ طال في تدبُّر كلماته فكُره ، وصفاً له فهمه ، حتّى تَشْهَدَ له كُلُّ كلمةٍ منه بأنه كلام جبار قهار ، وأنه خارج عن حد استطاعة البشر .

وفي هذا الحديث أنه يجب أن يتعلّم قارئ القرآن من النحو ما يفهم

(١) لسان العرب مادة (عرب) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي .

به القرآن والسنة ، لتوقف ما ذكّر عليه .

وقال صلى الله عليه :

« أعربوا الكلام كي تُعربوا القرآن » (١) .

أي تعلّموا إعرابه لأجل أن تنطقوا به سليماً من غير لحن .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« من قرأ القرآن فأعرب كُله ؛ كان له بكل حرفٍ أربعون حسنةً ،
ومن أعرب بعضه ولحنَ بعضه كان له بكل حرفٍ عشرون حسنةً ،
ومن لم يُعرب منه شيئاً كان له بكل حرفٍ عشرُ حسنةٍ » (٢) .

وقال عبد الله بن مسعود : أعربوا القرآن ، فإنَّ من قرأ القرآن
فأعربه ، فله بكلِّ حرفٍ عشر حسنة ، وكفارة عشر سيئات ، ورفع
عشر درجات (٣) .

وقال أيضاً : أعربوا القرآن فإنه عربي (٤) .

وعن عمرو بن دينار قال : كتب عمر إلى أبي موسى : أمّا بعد ؛
فتفقهوا في السنّة ، وتفقهوا في العربية ، وأعربوا القرآن فإنه عربي ،
وتمعددوا فإنكم معدّيون (٥) .

وعن ابن عمر أنه كان يضرب ولده على اللحن (٦) .

(١) رواه ابن الأنباري في (الوقف) والموهبي في (فضل العلم) .

(٢) رواه أبو عثمان الصابوني في (المائتين) والبيهقي .

(٣) رواه الطبراني .

(٤) رواه الطبراني وابن أبي شيبة .

(٥) رواه ابن أبي شيبة .

(٦) رواه البخاري في (الأدب المفرد) .

وعن مورق قال : قال عمر : تعلّموا اللحن والفرائض فإنه من دينكم^(١) .

وعن مجاهد ، عن ابن عمر قال : أعربوا القرآن .

وعن محمد بن عبد الرحمن بن زيد قال : قال أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - : لَبَعْضُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ حِفْظِ حُرُوفِهِ .

وعن الشعبي قال : قال عمر - رضي الله عنه - : من قرأ القرآن فأعربه كان له عند الله أجر شهيد .

وقال مكحول : بلغني أن مَنْ قرأ بإعرابٍ كان له من الأجر ضعفان ممّن قرأ بغير إعراب . وذُكِرَ عن مجاهد أنه قال :

اللحن لحنان : لحن جليّ ، ولحن خفيّ ؛ فاللحن الجليّ : لحن الإعراب ، واللحن الخفيّ : ترك إعطاء الحروف حقوقها من تجويدها عند مخارج الحروف .

وقال أبو عمرو بن العلاء : سمعتُ غير واحد من الفقهاء يقول : إنَّ الصلاة غير جائزة خلف من لا يميّز بين الضادّ والطاء ، ولم يفرّق بينهما بمعرفة اللفظ .

وقال ابن عطية : إعراب القرآن أصلٌ في الشريعة ؛ لأنّ بذلك تقومُ معانيه التي هي الشَّرْعُ .

وعن ابن أبي مليكة قال : قدم أعرابيٌّ في زمان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال : مَنْ يُقرئني ممّا أنزل على محمد ﷺ ؟

(١) رواه ابن أبي شيبة .

قال : فأقرأه رجل ﴿ براءة ﴾ فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ ﴾ بالجر ، فقال الأعرابي : أَوْقَدْ بَرِيءَ اللَّهُ مِنْ رَسُولِهِ ؟ فَإِنْ يَكُنُّ اللَّهُ بَرِيءً مِنْ رَسُولِهِ فَأَنَا أَبْرَأُ مِنْهُ ؛ فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه ؛ فقال : يا أعرابي أتبرأ من رسول الله ﷺ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إني قَدِمْتُ المدينة ولا عِلْمَ لي بالقرآن ، فسألت من يُقرئني ، فأقرأني هذا سورة ﴿ براءة ﴾ فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ ﴾ ، فقلت : أَوْقَدْ بَرِيءَ اللَّهُ مِنْ رَسُولِهِ ؟ إِنْ يَكُنُّ اللَّهُ بَرِيءً مِنْ رَسُولِهِ فَأَنَا أَبْرَأُ مِنْهُ ! فقال عمر : ليس هكذا يا أعرابي ؛ قال : فكيف هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ ﴾ ؛ فقال الأعرابي : وأنا والله أبرأ مما بَرِيءَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْهُ ؛ فأمر عمر بن الخطاب ألا يُقرئ الناس إلا عالم باللغة ، وَأَمَرَ أَبَا الْأَسْوَدِ فَوَضَعَ النُّحُو (١) .

● قراءة القرآن نظراً من المصحف :

قال الغزالي في « الإحياء » :

قراءة القرآن في المصاحف أفضل ؛ إذ يزيد في العمل النظر ، وتأمل المصحف ، وجمله ، فيزيد الأجر بسببه . وقد قيل : إن الختمة في المصحف بسبع ؛ لأن النَّظَرَ في المصحف أيضاً عبادة .

وخرق عثمانُ - رضي الله عنه - مصحفين لكثرة قراءته منهما ، فكان كثيرٌ من الصحابة يقرؤون في المصاحف ، ويكرهون أن يخرج يومٌ ولم ينظروا في المصحف .

ودخل بعضُ فقهاء مصر على الشافعي في السَّحَرِ وبين يديه

(١) رواه ابنُ الأثير في (الوقف) .

مصحف ، فقال لهم الشافعي : شغلكم الفقه عن القرآن ، إني لأصلي العتمة ، وأضع المصحف بين يدي فما أطبقه حتى أُصْبِحَ .

وعن خيثمة عن عبد الله بن عمرو قال : انتهيتُ إليه وهو ينظر في المصحف ، قال : قلت : أي شيء تقرأ في المصحف ؟ قال : حزبي الذي أقوم به الليلة .

وقال عبد الله بن مسعود : أديموا النظر في المصاحف^(٢) .

ودعا عثمان بن عفان بمصحفٍ فنشره بين يديه ، فقُتِلَ وهو بين يديه^(٣) .

وقال يونس : كان خلق الأولين النظر في المصاحف ، قال : وكان الأحنف بن قيس إذا خلا نظر في المصحف^(٤) .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : كان أبي يقرأ في كلِّ يومٍ سبعاً من القرآن لا يتركه نظراً .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة ، وقراءته في المصحف تضاعف على ذلك إلى ألفي درجة »^(٥) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

(١) رواه ابن أبي شيبة .

(٢) رواه الطبراني .

(٣) رواه أحمد .

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات .

(٥) رواه الطبراني والبيهقي .

« فَضَّلَ الْقُرْآنَ نَظْرًا عَلَى مَنْ قَرَأَ ظَاهِرًا كَفَضَّلَ الْفَرِيضَةَ عَلَى النَّافِلَةِ » (١) .

قال المناوي : وإِثْمًا فَضَّلْتُ الْقِرَاءَةَ فِي الْمَصْحَفِ لِحَظِّ النَّظْرِ فِيهِ ، وَحَمَلَهُ ، وَمَسَّهُ ، وَتَمَكَّنَهُ مِنَ التَّفَكُّرِ فِيهِ ، وَاسْتِنْبَاطِ مَعَانِيهِ .

وعن الأوزاعي : كان يُعجبهم النظر في المصاحف بعد القراءة هنيهة .

وقال بعضهم : وينبغي لمن كان عنده مصحفٌ أن يقرأ فيه كُلَّ يَوْمٍ آيَاتٍ سِيرَةً ، وَلَا يَتْرَكَهُ مَهْجُورًا .

وقال ابن كثير في (فضائل القرآن) :

الذي صرَّح به كثيرون من العلماء أنَّ قراءة القرآن من المصحف أفضل ؛ لأنه يشمل على التلاوة والنظر في المصحف ، وهو عبادة ، كما صرَّح به غير واحدٍ من السلف ، وكرهوا أن يمضي على الرجل يومٌ لا ينظر في مصحفه . وهذا أمرٌ مطلوب ، لئلا يُعطلَّ المصحف فلا يقرأ منه ، ولعله قد يقع لبعض الحفظة نسيان فيتذكَّر منه ، أو تحريف كلمة أو آية أو تقديم أو تأخير ، فالاستثبات أولى ، والرجوع إلى المصحف أثبتُّ من أفواه الرجال .

فأما تلقين القرآن فمن الملقن أحسن ؛ لأنَّ الكتابة لا تدلُّ على كمال الأداء ، كما أنَّ فم الملقن أحسن لأنَّ الكتابة لا تدلُّ على كمال الأداء ، كما أنَّ المشاهد من كثيرٍ ممَّن يحفظُ من الكتابة فقط يَكثُرُ تصحيفه وغلطه ، وإذا أدَّى الحال إلى هذا مُنِعَ منه إذا وجد شيخاً يوقفه على لفظ القرآن . فأما عند العجز عمَّن يُلقن فلا يُكلِّف الله نفساً إلا وسعها ،

(١) رواه أبو عبيد في (فضائل القرآن) وأبو نعيم والطبراني والديلمي .

فيجوزُ عند الضرورة ما لا يجوز عند الرفاهية ، فإذا قرأ في المصحف والحالة هذه فلا حرج عليه ، ولو فرض أنه قد يُحرّف بعض الكلمات عن لفظها على لُغته ولفظه ، فقد قال الإمام أبو عبيد : حدثني هشام بن إسماعيل الدمشقي ، عن محمد بن شعيب ، عن الأوزاعي ، أن رجلاً صحبهم في سفرٍ ، قال : فَحَدَّثْنَا حَدِيثًا مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا رَفَعَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قال : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قرأَ فَحَرَّفَ أَوْ أَخْطَأَ كَتَبَ الْمَلِكُ كَمَا أُنزِلَ » .

وقال بعضُ العلماء :

المدارُ في هذه المسألة على الخشوع في القراءة ، فإن كان الخشوع عند القراءة على ظهر القلب فهو أفضل ، وإن كان عند النظر في المصحف فهو أفضل ، فإن استويا فالقراءة نظراً أولى ، لأنها أثبت ، وتمتاز بالنظر في المصحف .

قال النووي في (التبيان) : والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل .

وقد أفرد البخاري في كتاب : فضائل القرآن ، باباً سماه : باب : القراءة عن ظهر القلب ، وذكر فيه حديث رسول الله ﷺ لرجلٍ من الصحابة : « ماذا معك من القرآن » ؟ قال : معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا ، عدّها ، قال : « أتقرؤون عن ظهر قلب » ؟ قال : نعم . قال : « اذهب ، فقد ملككُكها بما معك من القرآن » .

قال ابن حجر : فدلل على فضل القراءة عن ظهر القلب لأنها أمكن في التوصل إلى التعليم .

وقال ابن كثير :

إن كان البخاري - رحمه الله - أراد بذكره حديث سهل للدلالة على أن تلاوة القرآن عن ظهر قلب أفضل منها في المصحف ، ففيه نظر ، لأنها قضية عينية ، فيحتمل أن ذلك الرجل كان لا يُحسِنُ الكتابة ، ويعلم ذلك رسول الله ﷺ منه ، فلا يدلُّ على أن التلاوة عن ظهر قلب أفضل مطلقاً في حق من يُحسِنُ ومن لا يُحسِنُ ، إذ لو دلَّ هذا لكان ذكر حال رسول الله ﷺ وتلاوته عن ظهر قلب لأنه أمي لا يدري الكتابة أولى من ذكر هذا الحديث بمفرده .

والثاني : أن سياق الحديث إنما هو لأجل استثبات أنه يحفظ تلك السور عن ظهر قلب ليتمكن تعليمها لزوجته ، وليس المراد هاهنا أن هذا أفضل من التلاوة نظراً ولا عَدَمه .

وردّ عليه ابن حجر ، فقال :

ولا يردّ على البخاري شيءٌ ممّا ذكر ؛ لأن المراد بقوله : « باب القراءة عن ظهر قلب » مشروعيتها أو استحبابها ، والحديث مطابق لما ترجم به ، ولم يتعرّض لكونها أفضل من القراءة نظراً .

ومن حيث المعنى : إن القراءة في المصحف أسلمٌ من الغلط ، لكنّ القراءة عن ظهر قلب أبعد من الرياء ، وأمكن للخشوع ، والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص .

● فضل قراءة السرّ على الجهر ، والجهر جائز :

وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بقراءة القرآن ، وأحاديث تقتضي استحباب الإسرار به .

قال القرطبي : أحوال الناس في هذا الباب تختلف ، فمن كان

ضعيفاً يخاف على نفسه من العجب والرياء ، فالسر له أفضل ، وأما من كان قوياً في دينه قد استوى عنده المدح وغيره ، وكان إماماً يقتدى به ، فالجهر في حقه أفضل ، اقتداءً برسول الله ﷺ .

قال كريب : سألت ابن عباس عن جهر رسول الله ﷺ بالقراءة بالليل ، فقال : كان يقرأ في حجرته قراءة لو أراد حافظاً أن يحفظها لفعل .

وقالت أم هانئ : كنت أسمع قراءة رسول الله ﷺ بالليل وأنا على عريشي (١) .

وقال عبد الله بن قيس : سألت عائشة - رضي الله عنها - كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ بالليل ؟ أكان يجهر أو يسر ؟ قالت : كلاً قد كان يفعل ، ربما جهر وربما أسر ، قلت : الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة (٢) .

وكان أبو هريرة إذا قرأ رفع طوراً وخفض طوراً ، وذكر أن النبي ﷺ كان يفعل ذلك (٣) .

قال العلماء :

وإنما كان ذلك لأن القراءة إذا طالت ، فالجمع فيها بين الجهر والمخافتة ، أعون على الدوام ، لأن المسر يمل فيما يسر فيأنس بالجهر ، والجاهر يكل ، فيستريح بالإسرار ، إلا أن من قرأ بالليل جهر بالأكثر ، وأسر بالأقل ، وإذا قرأ نهاراً أسر بالأكثر وجهر بالأقل ، إذ كان النبي

(١) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه .

(٢) رواه أحمد والترمذي .

(٣) رواه أبو داود .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسِرُّ بِالْقِرَاءَةِ ، وَرَبَّمَا يُسْمِعُ الْآيَةَ وَالْآيَاتِينَ أَحْيَانًا ، ثَبَتَ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ فِي الظُّهْرِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَةٍ ، وَكَانَ يُطَوِّلُ فِي الْأَوَّلِ ، وَيُقْصِرُ فِي الثَّانِيَةِ ، وَيُسْمِعُنَا الْآيَةَ أَحْيَانًا^(١) .

وعن أبي موسى قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« إِنِّي لِأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رِفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِاللَّيْلِ حِينَ يَدْخُلُونَ ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ ؛ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَّ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ »^(٢) .

وعن علي - رضي الله عنهم - أنه سمع ضجَّةَ ناسٍ في المسجد يقرؤون القرآن ، فقال : طوبى لهؤلاء كانوا أحبَّ الناس لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣) .

قال النووي في (التبيان) :

إن لم يخفِ الرياءَ فالجهرُ ورفعُ الصوتِ أفضل ؛ لأنَّ العملَ فيه أكثر ، ولأنَّ فائدته تتعدى إلى غيره ، والمتعدّي أفضل من اللازم ، ولأنَّه يُوقِظُ الْقَارِئَ ، وَيَجْمَعُ هَمَّهُ إِلَى الْفِكْرِ فِيهِ ، وَيَصْرِفُ سَمْعَهُ إِلَيْهِ ، وَيَطْرُدُ النَّوْمَ ، وَيَزِيدُ فِي النَّشَاطِ ، وَيُوقِظُ غَيْرَهُ مِنْ نَائِمٍ وَغَافِلٍ وَيُنَشِّطُهُ .

قالوا : فمهما حضره شيءٌ من هذه النيات فالجهرُ أفضل ، فإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر .

وقد وردت أحاديث عدَّة في فضل قراءة السرِّ ، فمن ذلك ما قاله

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه ابن أبي داود .

عقبة بن عامر : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :

« الجاهرُ بالقرآن كالجاهرِ بالصدقة ، والمسرُّ بالقرآن كالمسرُّ بالصدقة » (١) .

قال القرطبي : ومعنى هذا الحديث أن الذي يسرُّ بالقرآن أفضل من الذي يجهر بقراءة القرآن ، لأنَّ صدقة السرِّ أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية ، وإنما معنى هذا عند أهل العلم لكي يأمن الرجل من العجب ، لأنَّ الذي يسرُّ بالعمل لا يخاف عليه من العجب ما يخاف عليه من العلانية .

وقال الزركشي في (البرهان) :

من قرأ والناس يصلُّون فليس له أن يجهر جهراً يشغلهم به ؛ فإن النبي ﷺ خرج على أصحابه وهم يصلُّون في المسجد ، فقال : « يا أيُّها الناس كلِّمكم يُناجي ربَّه ، فلا يجهر بعضُكم على بعضٍ في القراءة » .

● آداب قراءة القرآن :

لتلاوة القرآن آداب ينبغي المحافظة عليها ، ومراعاتها ، فمن ذلك :

١ - الإخلاص :

فيستحضر قارئ القرآن في نفسه أنه يُناجي الله تعالى ، ويخاطبه بكلامه الذي أنزله على قلب رسوله ﷺ ، ويوقن أن الله سبحانه يراه ويراقبه ، ويعلم دخيلة نفسه وحقيقة أحواله . فأوَّل ما يُؤمر به الإخلاص ؛ لأنه لبُّ العبادة ، وبه قوامها ، وهو لها بمنزلة الروح للجسد

(١) رواه أبو داود والنسائي والترمذي وأحمد وابن حبان .

فيقصد القارىء في قراءته وجه الله تعالى ، وأن يُبعد عن ذهنه الشهرة وإقبال الخلق عليه ، ونحو ذلك ممَّا يترتب على الرياء والسمعة . أمَّا إذا قصد به الثواب الموعود به على لسان الشارع ، فلا يخلِّ ذلك بإخلاصه ، فالأكمل في هذا المقام إفراد الله تعالى بالإخلاص ، فلا يَقْصِدُ القارىء بعبادته سوى ذاته سبحانه . وقد مَدَحَ اللهُ تعالى الإخلاص والمخلصين ، فقال عز وجل :

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر : ١١] .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَتَحَنُّنٌ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٩] .

وقال الله تعالى :

﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف : ٢٤] .

٢ - تنظيف الفم بالسواك :

عن عليّ - رضي الله عنه - أنه أمر بالسواك ، وقال : قال رسول الله ﷺ :

« إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَسَوَّكَ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي ، قَامَ الْمَلِكُ خَلْفَهُ فَيَسْتَمِعُ لقراءته ، فيدنو منه حتى يضع فاه على فيه ، فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جَوْفِ الْمَلِكِ ، فَطَهَّرُوا أَفْوَاهَكُمْ للقرآن » (١) .

قال النووي : والاختيار في السواك أن يكون بعود الأراك ، ويجوز

(١) قال المنذري : رواه البزار بإسنادٍ جيد لا بأس به ، وروى ابن ماجه بعضه موقوفاً ، ولعله أشبهه .

بغيره من العيدان ، وبالسُّعد والأشنان والحِرْقَة الخشنة ، وغير ذلك ممَّا يُنظَّف ... وينوي به الإتيان بالسُّنة .

وقال بعضُ العلماء : يقول عند الاستياك : اللهم بيِّضْ به أسناني ، وشُدِّدْ به لثاتي ، وثبَّتْ به لهاتي ، وبارك لي فيه يا أرحم الراحمين .

قال ابن علان : وهذا وإن لم يكن له أصل فلا بأس به ، فإنه دعاء حسن .

٣ - استحضر الخشوع والتدبُّر والخضوع :

يُقصد بالخشوع : التذلُّ ورمي البصر إلى الأرض ، وخفض الصوت وسكون الأعضاء . وقيل : هو حضور القلب وسكون الجوارح . وفي (التهذيب) قال الأزهري : التخشُّع لله : الإخباتُ والتذلُّ . وقال مجاهد : هو السكون وحسن الهيئة .

والتدبُّر : هو التفهُّم والتعقُّل لمعنى ما يقرؤه حسب الطاقة ، وإلَّا فالإحاطة بمعاني القرآن على ما هي عليه ليست إلَّا لله سبحانه .

والخضوع : سكون القلب والتذلُّ للربِّ تعالى .

وقد بات جماعةٌ من السلف يتلو الواحدُ منهم آيةً واحدةً ليلةً كاملةً أو معظم ليلةٍ يتدبَّرها ، ومن ذلك ما قاله مسروق عن رجل من أهل مكة : هذا مقامُ تميم الدارِيِّ ، لقد رأيتُه ذات ليلةٍ حتى أصبح أو قرب أن يُصبحَ يقرأ آيةً من كتاب الله ، ويركع ، ويسجد ، ويبكي : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ [الجاثية : ٢١] .

وقال بشير : بثُّ عند الربيع بن خثيم ذات ليلةٍ فقام يُصلِّي ، فمرَّ بهذه الآية ، فمكث ليله حتى أصبح ، لم يعُدْها ببيكاءٍ شديد .

وقال إبراهيم بن الأشعث : كثيراً ما رأيت الفضيل بن عياض يردد
من أول الليل إلى آخره هذه الآية ونظيرها ، ثم يقول : ليت شعري !
من أي الفريقين أنت ؟

وكانت هذه الآية تُسمى : مبكاة العابدين^(١) .

وقد روي أن النبي ﷺ لم يزل يُردد هذه الآية حتى أصبح :
﴿ إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
[المائدة : ١١٨]^(٢) .

وقال القاسم : رأيت سعيد بن جبير قام ليلة يُصلي فقراً :
﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨١] فرددها بضعاً وعشرين مرة^(٣) .

٤ - أن يكون القارئ على طهارة :

فيستحب أن يقرأ الإنسان القرآن على الوضوء ، قال علي بن أبي
طالب :

مَنْ قرأ القرآن في غير صلاة وهو على وضوء فخمسٌ وعشرون
حسنة^(٤) .

وإن قرأ القرآن وهو محدث جاز بإجماع المسلمين . قال إمام
الحرمين : ولا يُقال ارتكب مكروهاً بل هو تاركٌ للأفضل ، فإن لم يجد
الماء تيمم .

(١) انظر : تفسير القرطبي (١٦٦ / ١٦) .

(٢) رواه أحمد والنسائي والحاكم وصححه .

(٣) ذكره القرطبي في (التذكار) .

(٤) ذكره الغزالي في الإحياء .

والمستحاضة في الزمن المحكوم بأنه طهر حكمها حكم المحدث .
وأما الجنب والحائض فإنه يحرم عليهما قراءة القرآن ، سواء كان آية أو
أقل منها ، ويجوز لهما إجراء القرآن على قلبيهما من غير تلفظ به ، ويجوز
لهما النظر في المصحف وإمراره على القلب (١) .

وسئل ابن تيمية : هل يجوز مسّ المصحف بغير وضوء أم لا ؟
فأجاب : مذهب الأئمة الأربعة أنه لا يمَسّ المصحف إلا طاهر ، كما قال
في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر بن حزم :
« أن لا يمَسّ القرآن إلا طاهر » (٢) .

قال الإمام أحمد : لا شك أن النبي ﷺ كتبه له ، وهو أيضاً قول
سلمان الفارسي ، وعبد الله بن عمرو ، وغيرهما ، ولا يعلم لهما من
الصحابة مخالِف .

وسئل - رحمه الله - عمّن معه مصحف ، وهو على غير طهارة ،
كيف يحمله ؟

فأجاب : ومن كان معه مصحف فله أن يحمله بين قماشة ، سواء
كان ذلك القماش لرجل ، أو امرأة ، أو صبي ، وإن كان القماش
فوقه أو تحته .

٥ - القراءة في مكان نظيف :

قال النووي : ولهذا استحَبَّ جماعة من العلماء القراءة في المسجد ،
لكونه جامعاً للنظافة ، وشرف البقعة ، ومُحصلاً لفضيلة أخرى وهي
الاعتكاف .

(١) انظر (التبيان) للنووي .

(٢) رواه مالك والطبراني .

وقال الشعبي : تُكره القراءة في ثلاثة مواضع : في الحمّات ،
والخشوش ، وبيوت الرحي وهي تدور .
وعن أبي ميسرة قال : لا يُذكر الله إلا في مكان طيب .

٦ - القعود وعدم الاتكاء :

فيستحبّ أن يستوي القارئُ قاعداً إن كان في غير صلاة ، ولا
يكون متكئاً ، لئُناسب ذلك جلال القرآن وعظمته ، ويكون في وضعية
تساعده على التأمل والتدبُّر ، والخشوع والتضرُّع لله عز وجلّ .

ولكن لو قرأ قائماً ، أو مضطجعاً ، أو في فراشه ، أو على غير ذلك
من الأحوال جاز ، وله أجر ، ولكن دون الأول ؛ لأنّ ذِكرَ الله يصحُّ
في جميع أحوال الإنسان ، ومختلف هيئاته ، قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل

عمران : ١٩١] .

وقالت عائشة : كان رسولُ الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه (١) .

وثبت في الصحيح عن عائشة قالت : كان رسولُ الله ﷺ يتكئ
في حجري وأنا حائض ويقرأ القرآن (٢) .

وعن أبي موسى الأشعري قال : إني أقرأ القرآن في صلاتي ، وأقرأ
على فراشي .

وقالت عائشة : إني لأقرأ حزني وأنا مضطجعة على السرير (٣) .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) انظر : (التبيان للنووي ص : ٤١) .

٧ - استقبال القبلة :

يُستحبُّ للقارئ في غير الصلاة أن يستقبل القبلة ، لقوله ﷺ :
« أكرمُ المجالس ما استقبل به القبلة » (١) .

وقال ﷺ :

« إنَّ لكلِّ شيءٍ سيِّداً ، وإنَّ سيِّدَ المجالس قبالة القبلة » (٢) .

قال المناوي : يشير إلى أنَّ كلَّ حركةٍ وسكونٍ من العبد على نظام العبودية بحسب نيَّته : في يقظته ، ومنامه ، وقعوده ، وقيامه ، وشرابه ، وطعامه ، تشرف حالته بذلك ، فيتحرى القبلة في مجلسه ، ويستشعر هيئتها ، فلا يعبث ؛ فتُسَنُّ المحافظةُ على استقبالها ما أمكن .

٨ - الاستعاذة والبسملة :

يُستحبُّ لقارئ القرآن أن يستعيد بالله عند ابتدائه القراءة من الشيطان الرجيم .

قال تعالى :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾

[النحل : ٩٨] .

قال القرطبي : هذه الآية متصلة بقوله : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] فَإِذَا أَخَذْتَ فِي قِرَاءَتِهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ من أن يعرض لك الشيطان فيصدك عن تدبره والعمل بما فيه ، وليس يريد استعاذ بعد القراءة ؛ بل هو كقولك : إذا أكلت فقل بسم الله ؛ أي

(١) رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ، وحسنه الهيثمي .

إذا أردت أن تأكل .

وقال ابن كثير : المشهور الذي عليه الجمهور أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة ، لدفع الموسوس عنها ، ورُوي أن جبريل عليه السلام أول ما نزل بالقرآن على رسول الله ﷺ أمره بالاستعاذة ، فعن ابن عباس قال : أول ما نزل جبريل على محمد ﷺ قال : يا محمد استعد ، قال : « أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » ثم قال : قل بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] (١) .

وجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ، وليست بمتحمة يأثم تاركها . وقوله تعالى : ﴿ استعد ﴾ أمر نذّب ليس بواجب .
والمعنى في الاستعاذة عند ابتداء القراءة لئلا يلبس على القارئ قراءته ، ويخلط عليه ، ويمنعه من التدبّر والتفكّر .

والاستعاذة هي : الالتجاء إلى الله تعالى ، والالتصاق بجنابه من شرّ كلّ ذي شرّ . ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : أي أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرّني في ديني أو دُنْيائي ، أو يصدّني عن فعل ما أمرتُ به ، أو يحثّني على فعل ما نُهيئتُ عنه .

قال النووي :

وينبغي أن يحافظ على قراءة : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ في أول كل سورة سوى براءة ، فإن أكثر العلماء قالوا : إنها آية ، حيث تُكتب في المصحف ، وقد كُتبت في أوائل السور سوى براءة ، فإذا قرأها كان

(١) رواه ابن جرير والطبري في تفسيره .

متيقناً قراءة الختمة أو السورة فإذا أخلّ بالبسملة كان تاركاً لبعض القرآن عند الأكثرين .

٩ - قراءة السورة كاملة وعدم قطع القراءة :

يُستحب لقارئ القرآن إذا أخذ في تلاوة سورة لم يشغل عنها حتى يفرغ منها ، إلا من ضرورة ملحة . فإذا أخذ في القراءة لم يقطعها ، ولم يخللها بكلام الناس ، ففي هذا استخفاف بالقرآن ، ولأنّ في إتباع القرآن بعضه بعضاً من الهجة ما يظهر عند الإتيان . وفي القطع سلب زينة القرآن .

قال الإمام أبو الحسن الواحدي : الأولى ترك السلام على القارئ لاشتغاله بالتلاوة ، فإن سلّم عليه إنسان كفاه الردّ بالإشارة ، وإن أراد الردّ باللفظ ردّه ، ثم استأنف الاستعاذة ، وعاود التلاوة .

قال النووي : وهذا الذي قاله ضعيف ، والظاهر : وجوب الردّ باللفظ ، فقد قال أصحابنا : إذا سلّم الداخل يوم الجمعة في حال الخطبة ، وقلنا : الإنصات سنة ؛ وجب له ردّ السلام ، على أصحّ الوجهين . فإذا قالوا هذا في حال الخطبة مع الاختلاف في وجوب الإنصات ، وتحريم الكلام ، ففي حال القراءة التي لا يحرم الكلام فيها بالإجماع أولى ، مع أن ردّ السلام واجب بالجملة .

وأما إذا عطس في حال القراءة فإنه يستحبّ أن يقول : الحمد لله ، وكذا لو كان في الصلاة ، ولو عطس غيره وهو يقرأ في غير الصلاة ، وقال : الحمد لله ، يستحبّ للقارئ أن يشتمه ، فيقول : يرحمك الله .

ولو سمع المؤذّن قطع القراءة ، وأجابه بمتابعته في ألفاظ الأذان

والإقامة ، ثم يعود إلى قراءته^(١) .

١٠ - القراءة بالتفخيم :

قال رسول الله ﷺ :

« نزل القرآن بالتفخيم »^(٢) .

قال الحلبي : معناه أن يقرأ على قراءة الرجال ، ولا يُخضع الصوت فيه ، ككلام النساء ، ولا يدخل في كراهة الإمالة التي هي اختيارُ بعض القراء ، وقد يجوز أن يكون القرآن نزل بالتفخيم ، فرخص مع ذلك في إمالة ما يحسن إمالته على لسان جبريل عليه السلام .

والتفخيم في الحروف ضد الإمالة . وألف التفخيم : هي التي تجدها بين الألف والواو ، كقولك : سلام عليكم ، وقام زيد ، وعلى هذا كتبوا : الصلوة ، والزكوة ، والحيوة ، كل ذلك بالواو ؛ لأن الألف مالت نحو الواو .

١١ - تأدية الحروف وإبراز الكلام :

يُستحب لقارئ القرآن أن يعطي كل حرف حقه من النطق ، وأن يبرز الكلام بلفظه وتمامه ، ذلك أن لكل حرف عشر حسنات فعليه أن لا يهمل أي حرف لينال الثواب الأوفى .

١٢ - الإمساك عن القراءة أثناء الثاؤب :

قال الحكيم الترمذي في « نواذر الأصول » :

ومن حرمة إذا ثاؤب أن يمك عن القراءة ، لأنه إذا قرأ فهو

(١) الفقه على المذاهب الأربعة (١ / ٣١٨) .

(٢) قال السيوطي في « الإتيان » : رواه الحاكم ، وذكره القرطبي في « التذكار » .

مخاطبَ رَبِّهِ ، وَمُنَاجٍ ، وَالتَّائِبِ مِنَ الشَّيْطَانِ .

قال رسول الله ﷺ :

« إِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فَمِهِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ » (١) .

قال النووي في « الأذكار » :

وسواء كان التائب في الصلاة أو خارجها ، يُسْتَحَبُّ وَضْعُ الْيَدِ عَلَى الْفَمِ .

وقال مجاهد :

إِذَا تَنَاءَبْتَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَأَمْسِكْ عَنِ الْقُرْآنِ تَعْظِيمًا حَتَّى يَذْهَبَ تَائِبُكَ . وَقَالَ عِكْرَمَةَ .

قال الترمذي : يريد أن في هذا الفعل إجلالاً للقرآن .

١٣ - عدم التقاط الآي من كل سورة :

يستحب لقارئ القرآن أن لا يلتقط من كل سورة ، فيقرأ بها ، فإنه رُوِيَ عن رسول الله ﷺ ، أَنَّهُ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَخَافُ ، وَمَرَّ بِعُمَرَ وَهُوَ يَجْهَرُ ، وَمَرَّ بِلَيْلٍ وَهُوَ يَقْرَأُ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ وَمِنْ هَذِهِ ، فَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ : « إِنِّي مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُخَافُ » فَقَالَ : إِنِّي أُسْمِعُ مَنْ أُنَاجِي ، قَالَ : « ارْفَعْ شَيْئًا » . وَقَالَ لِعُمَرَ : « مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تَجْهَرُ » قَالَ : أَطْرُدُ الشَّيْطَانَ وَأَوْقِظُ الْوَسْوَاسَانَ ، قَالَ : « اخْفِضْ شَيْئًا » . وَقَالَ لِبَلَالٍ : « مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ ، وَمِنْ هَذِهِ السُّورَةِ » فَقَالَ : أَخْلَطُ الطَّيِّبَ بِالطَّيِّبِ ، فَقَالَ : « اقْرَأِ السُّورَةَ عَلَى

(١) رواه مسلم وأبو داود .

وجهها» (١) .

قال الحلبي : وهذا أولى ممّا رُوي أنه سمع عمّاراً يقرأ من هذه ومن هذه ، فلمّا كلّمه في ذلك قال : أفتسمعني أخلط به بما ليس فيه ؟ قال : « لا » ، قال : « فكلّه طيّب » . ولم يذكر أنه أنكر عليه .
والذي فعله بلال هو الذي فعله عمّار بعينه . فكان ما رُوي من التصريح بالإنكار والتغيير أولى بالاعتقاد من الرواية التي ليس فيها أكثر من السكت عن عمّار .

ولعل النظر إذا أنعم منع من إتيان حديث عمّار ، لأنّ فيه أنّ النبي ﷺ استنكر منه فعلاً ، فقابله عمّار بالحجّة ، فأمسك عنه ، وهذا عظيم ! ولئن كان شيء من الأخبار يردُّ بضعف أحدٍ من نقلته لردّ هذا بخطأ متنه وهجنته .

١٤ - اجتناب ما يُخلُّ بالقراءة :

كالضحك ، واللغظ ، والحديث ، والعبث باليد ، والنظر إلى ما يُلهي ويُبدّد الذهن .

وعلى القارئ أن يحصر فكره فيما يقرأ ، ويمثّل قوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] ، وليقتد بما رواه ابنُ أبي داود عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه كان إذا قرأ القرآن لا يتكلّم حتى يفرغ منه .

ثم إن قارئ القرآن يُناجي ربّه سبحانه وتعالى ، فلا يجوز له أن يلهو بشيء يبعده عن المناجاة ، ويقطع عليه لذّة الوقوف بباب الرحمن .

(١) رواه أبو داود والترمذي وأحمد .

قال النووي : وعلى الحاضرين مجلس القراءة إذا رأوا شيئاً من المنكرات أن ينهوا عنه حسب الإمكان ، باليد لمن قدر ، وباللسان لمن عجز عن اليد وقدر على اللسان ، وإلا فلينكر بقلبه .

١٥ - العناية بالمصحف :

من حقّ القرآن على قارئه أن يُعنى به ، فلا يتركه منشوراً ، ولا يضع فوقه شيئاً من الكتب ، ولا ثوباً ولا شيئاً خطيراً ولا حقيراً ، ليكون القرآن محفوظاً مكنوناً . قال الله تعالى :

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة : ٧٧ - ٧٩] .

والمكنون : المصون عند الله تعالى ، والمحفوظ عن الباطل . وإذا كان القرآن كذلك فالأولى العناية به ، وعدم تعريضه للإهانة .

ومن مظاهر العناية بالمصحف : أن يضعه القارئ في حجره أثناء القراءة ، أو على شيء بين يديه ، ولا يضعه على الأرض .

فعن عمر بن عبد العزيز أن رسول الله ﷺ رأى كتاباً من ذكر الله في الأرض فقال : « من صنع هذا ؟ فقيل له : هشام ، فقال : « لعن الله من فعل هذا ، لا تضعوا ذكر الله في غير موضعه »^(١) .

ومن مظاهر العناية بالمصحف أن تُحرق أوراقه إذا استُغني عنه ، فعن ابن طاووس عن أبيه : أنه لم يكن يرى بأساً أن يحرق الكتب ، وقال : إنما الماء والنار خلقتان من خلق الله تعالى .

١٦ - سجود التلاوة :

ينبغي على قارئ القرآن أن يُراعي حقّ الآيات ، فإذا مرّ بآية

(١) رواه ابن أبي داود .

سجودٍ سَجَدَ إذا كان على طهارة ، وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض ، وأكمله أن يكْبُرَ فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها ، فيقول : اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك ، المسبِّحين بحمدك ، وأعوذ بك أن أكونَ من المستكبرين عن أمرك .

واختلف العلماء في سجود التلاوة في أنه أمر استحباب أم إيجاب ؟ والشافعية والحنبلية على أنه ليس بواجب بل مستحب ، وهذا قولُ عمر بن الخطاب وابن عباس وعمران بن حصين ومالك والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي ثور وداود وغيرهم .

وثبت في الصحيحين عن زيد بن ثابت أنه قرأ على النبي ﷺ والنجم ﴿ فلم يسجد .

وثبت فيهما أيضاً أنه ﷺ سجد في النجم .

قال النووي : فدلَّ على أنه ليس بواجب .

والحنفية والمالكية على أنه واجب . وكيفيتها :

عند الشافعية :

بالنسبة لغير المصلي : ينوي بلسانه ، ثم يكبر تكبيرة الإحرام ، ثم يسجد سجدة واحدة كسجدة الصلاة ، ثم يجلس بعد السجدة ، ثم يسلم .

أما إذا كان في الصلاة ، وقرأ آية فيها سجدة ؛ فإنه يسجد . وتتحقق السجدة بأمرين ؛ الأول : النية ، ولا بُدَّ أن تكون بالقلب . والثاني : أن يسجد سجدة واحدة كسجدة الصلاة .

ويسنُّ التكبير للهويّ للسجود والرفع منه ، والدعاء فيه ، والتسليمة الثانية .

أما عند الحنفية : فيسجد الإنسان سجدة واحدة بين تكبيرتين ،
إحدهما : عند وضع جبهته على الأرض للسجود ، وثانيتها : عند رفع
جبهته ، ولا يقرأ التشهد ، ولا يسلم . وهاتان التكبيرتان مسنونتان ،
فلو وضع جبهته على الأرض دون تكبير صحّت السجدة مع الكراهة .

ويستحب لمن تلاها جالساً أن يقف ويخرّ لها ساجداً ، ومن كرّر
آية سجدة في مجلس واحد سجد كذلك سجوداً واحداً ، فإن اختلف
المجلس فإنه يكرر السجود .

وعند الحنابلة : يسجد دون تكبيرة إحرام ، بل بتكبيرتين ،
إحدهما عند وضع جبهته على الأرض ، والثانية عند رفعها ، ولا
يتشهد ، إلا أنه يُندب له الجلوس إذا لم يكن في الصلاة ليسلم جالساً .
ويُندب له أن يدعو في سجوده .

وقالت المالكية : يسجد سجدة واحدة بلا تكبيرة إحرام وبلا
سلام ، بل يكبر للهوي وللرفع استئناً . وإذا كان قائماً يهوي لها من
قيام ، سواء كان في صلاة أو غيرها . ولا يُطلب منه الجلوس ، بل
يسجد كما يسجد القائم من ركوع الصلاة المعتادة ، لا فرق أن يكون في
صلاة أو غيرها . وإذا كان راكباً على دابة أو غيرها نزل وسجد على
الأرض ، إلا إذا كان مسافراً أو كان مقيماً وتوفرت فيه شروط صلاة
النفل على الدابة ، ويسجد عليها بالإيماء .

وسجدة التلاوة أربع عشرة سجدة ، وهي قوله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظُلْماً لَهُمْ
بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [الرعد : ١٥] .

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

[النحل : ٥٠] .

﴿ قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ [الإسراء : ١٠٧] .

﴿ إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم : ٥٨] .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الحج : ١٨] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج : ٧٧] .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان : ٦٠] .

﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ... لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [النمل : ٢٥ - ٢٦] .

﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [السجدة : ١٥] .

﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص : ٢٤] .

﴿ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * ... وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ [فصلت : ٣٧ - ٣٨] .

﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ [النجم : ٦٢] .

﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴾ [الانشقاق : ٢١] .

[٢١] .

﴿ كَلَّا لَا تُطِغُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ [العلق : ١٩] .

وسجود التلاوة سنة للقارىء سواء كان في صلاة أم لا ،
وللمستمع ولو تركه القارىء ، وللسامع ، وهو للأولين أكد منه
لثالث .

وهو واجبٌ على المأموم إن سجد إمامه ، ويجب عليه الترك إن ترك
الإمام ، وإلا بطلت صلاته في الحاليتين ، لأنَّ سجودَ التلاوة سنة ومتابعة
الإمام فرض .

وحكم سجود التلاوة حكم صلاة النافلة في اشتراط الطهارة عن
الحدث ، وعن النجاسة ، وفي استقباله القبلة ، وستر العورة ، ودخول
وقت السجود بالانتهاء من قراءة الآية أو سماعها . ووقت سجود التلاوة
فور انتهاء السجدة ، فإن أُخِّرَ بقدر ركعتين فات وقته ، ولا يُقضى عند
الشافعية ، أما الحنفية فقالوا : لا نهاية لوقتها .

وإذا قرأ السجدة وهو راكب على دابة في السفر سجد بالإيماء .

١٧ - الأوقات المختارة للقراءة :

ثمة أوقات ينبغي لقارىء القرآن أن يتوتَّحها ، ويكثر من التلاوة
فيها ، ومن ذلك :

١ - الصلاة :

من أعظم العبادات قراءة القرآن في الصلاة . قال رسول الله ﷺ :

« ما أدن الله لعبده في شيء أفضل من ركعتين يُصلِّيهما »^(١) .

وسُئِلَ رسول الله ﷺ : أي الأعمال أفضل عند الله ؟ قال :

(١) رواه الترمذي وأحمد .

« قراءة القرآن في الصلاة ... » (١) .

٢ - الليل :

قال ﷺ :

« من صَلَّى منكم بالليل فليجهر بقراءته ، فَإِنَّ الملائكة تُصَلِّي بِصَلاته ، ويستمعون لقراءته ... وما من رجلٍ تعلَّم كتاب الله عز وجل ثم يصلي ساعةً من الليل إلا أوصت تلك الليلة الماضية الليلة المقبلة لأن تُنبهه لساعته ، وأن تكون عليه خفيفة ... » (٢) .

وقال أبو ذرّ الغفاري : إن كثرة السجود بالنهار ، وإن طول القيام بالليل أفضل .

وقال أبو حامد الغزالي : وما كان من القيام بالليل فهو أفضل ؛ لأنه أفرغ للقلب .

٣ - الفجر :

قال الله تعالى :

﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾

[الإسراء : ٧٨] .

قال القرطبي : أي قراءة الفجر ، ويُسمى المقروء قرآناً على عادة العرب في تسميتها المفعول باسم المصدر ، ثم اشتهر الاستعمال في هذا ، واقترن به العُرف الشرعي ، فصار القرآن اسماً لكلام الله .

وقال الزجاج : وعبر عن صلاة الفجر بالقرآن خاصة دون غيرها

(١) رواه القرطبي في (التذكار) .

(٢) رواه نصر المقدسي كما في (التذكار) .

من الصلوات ؛ لأنَّ القرآن هو أعظمها ؛ إذ قراءتها طويلة ، مجهور بها ، حسبها هو مشهور مسطور .

وقرآن الفجر « تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار » (١) .

٤ - شهر الصوم :

وذلك لما في هذا الشهر من الحسنات الكثيرة ، خلاف بقية الشهور ، وفيه رحمة خاصة ، ومغفرة معينة ، فإذا أكثر القارىء من تلاوة القرآن في شهر الصوم زادت حسناته ، وارتقت مكانته ، ولا سيما في العشر الأواخر منه .

وقد كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر مالا يجتهد في غيرها (٢) .

وكان النبي ﷺ إذا دخل العشر شدّ مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله (٣) .

وعن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيُدارسه القرآن (٤) .

٥ - أيام الاثنين والخميس والجمعة :

وذلك أن هذه الأيام المباركة تُعرض فيها الأعمال ، فينبغي على

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه .

(٣) رواه البخاري .

(٤) رواه البخاري .

قارىء القرآن أن يقتنص هذه الفرصة ليرفع عمله ، ويكون من المقبولين إن شاء الله تعالى .

قال صلى الله عليه :

« تُعرض الأعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله ، وتُعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة ، فيفرحون بحسناتهم ، وتزداد وجوههم بياضاً وإشراقاً » (١) .

٦ - عشر ذي الحجة :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [الفجر : ٢] . وهذه الليالي هي ليالي عشر من ذي الحجة ، وهي أفضل أيام السنة .

قال القرطبي : إنما نُكِّرت لفضيلتها على غيرها ، فلو عُرِّفت لم تستقبل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ، فنكَّرت من بين ما أقسم به ؛ للفضيلة التي ليست لغيرها .

وقال صلى الله عليه :

« ما من أيامٍ العمل الصَّالِحُ فيها أحبُّ إلى الله من هذه الأيام » - يعني أيام العشر - قالوا : يا رسول الله ! ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء » (٢) .

وقال صلى الله عليه :

« ما من أيامٍ أفضل عند الله من أيام عشر ذي الحجة » (٣) .

(١) ذكره الحكيم الترمذي والسيوطي في (اللمعة) .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه ابن حبان .

٧ - يوم عرفة :

ذلك أن هذا اليوم من أفضل الأيام ، فعن جابر عن النبي ﷺ

قال :

« أفضل الأيام يوم عرفة » (١) .

وروي عن أنس بن مالك قال : كان يُقال : يوم عرفة بعشرة آلاف

يوم . - يعني في الفضل - (٢) .

فما أحسن أن يكثر قارئ القرآن في يوم عرفة من قراءته ،

وذكره ، ليكون - إن شاء الله - من المغفور لهم ، والذين تشملهم
رحمة الله سبحانه في هذا اليوم المبارك .

هذا ، وينبغي التنبيه إلى أن لا يقتصر المسلم على وقت معيّن أو حال

معيّن ، بل متى تيسر له فليقرأ القرآن ؛ لاسيما القدر المستحب في
السنة ، وهو قدر جزء كل يوم .

● استحباب قراءة الجماعة مجتمعين :

رغب الإسلام في اجتماع الجماعة لقراءة القرآن ، وتدارسه ، وفي

هذا حفظ لكتاب الله تعالى ، وثواب للقارئ ، ونزول رحمة على
الحاضرين .

قال ﷺ :

« ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه

بينهم ؛ إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفّتهم

(١) رواه ابن حبان .

(٢) ذكره ابن رجب في (لطائف المعارف) .

الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده» (١) .

وعن ابن عباس أنه سُئِلَ : أيّ الأعمال أفضل ؟ فقال : ذَكَرَ اللهُ أكبرُ ، ما جلسَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ تعالى يدرسون كتابَ اللهِ ، ويتعاطونه بينهم ، إلّا كانوا أضيافَ اللهِ تعالى ، وأظَلَّتْ عليهم الملائكةُ بأجنتها ماداموا فيه ؛ حتى يخوضوا في حديثٍ غيره (٢) .

وعن كعب قال : ثلاثٌ مَنْ عمل بواحدةٍ منهنّ دخل الجنة - وذكر منهن - : ورجل قعد في حلقةٍ فقرأ عليهم القرآن فحمدوا ربّهم عزّ وجل ، ثم دعوا ربّهم عزّ وجل على أثر ذلك ، فيقولُ اللهُ للملائكة : على ما اجتمع هؤلاء ؟ - وهو أعلم ولكن يريد أن يكونوا شهداء - فيقولون : أي ربّ ! أنتَ أعلم ، فيقول : إني أعلم ، ولكن أنبئوني بعلمكم ؟ فيقولون : يسألونك أن تدخلهم الجنة ، وتزحزحهم عن النار ؛ فيقول : أشهدكم أنني قد أوجبْتُ لهم الجنة ، وزحزحتهم عن النار (٣) .

قال القرطبي : ومثل هذا لا يُقال من جهة الرأي ، فهو مرفوع (٤) . وهذا الاجتماعُ لقراءة القرآن فَضُلٌّ من اللهِ تعالى ، ومنّة عظيمة منه سبحانه ، فعن ابن عمر قال : قلتُ لأبي ذرّ : يا عمّ أوصني ؛ قال : سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ كما سألتني فقال : « ما من يومٍ ولا ليلةٍ ولا

(١) رواه مسلم وأبو داود .

(٢) رواه الطبري ، وأورده ابن حجر في المطالب العالية (٢٤٢ / ٣) وابن أبي شيبة في المصنف .

(٣) رواه الطبري .

(٤) (التذكار ص ٦١) .

ساعةٍ إلاّ والله فيه صدقةٌ يمنُّ بها على مَنْ يشاء من عباده ، وما من الله تعالى على عباده بمثل أن يلهمهم ذكره «^(١) .

وقال الله تعالى :

﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [إبراهيم : ١١] .

قال سهل بن عبد الله التستري : بتلاوة القرآن وفهم ما فيه^(٢) .

وكان أبو الدرداء - رضي الله عنه - يدرس القرآن معه نَقْرًا ،

يقرؤون جميعاً^(٣) .

وعن حسان بن عطية والأوزاعي أنهما قالا : أوّل مَنْ أحدث

الدراسة في مسجد دمشق هشام بن إسماعيل في قدمته على

عبد الملك^(٤) .

وهذه الدراسة وذاك الاجتماع مستحبّ ، لما فيه من الخير ، والبر ،

وذكر الله تعالى ، وتعاون على العمل الصالح من خيري الدنيا والآخرة .

أمّا إدارة القراءة بالقرآن بين المجتمعين فهو « أن يجتمع جماعةٌ يقرأ

بعضهم عشراً أو جزءاً أو غير ذلك ، ثم يسكت ، ويقرأ الآخر من

حيث انتهى الأول ، ثم يقرأ الآخر ، وهذا جائز حسن ، وقد سُئِلَ

مالك - رحمه الله تعالى - عنه ، فقال : لا بأس به «^(٥) .

أما القراءة بصوت جماعي فتسمّى الطريقة الترديدية ، وهي تصلح

(١) رواه الطبري .

(٢) تفسير القرطبي (٣٤٧ / ٩) .

(٣) رواه ابن أبي داود .

(٤) (التبيان للنووي ص ٥٢) .

(٥) المصدر السابق .

للصفوف الدنيا والعوام والنشء الصاعد ، وهي طريقة معتمدة من قبل وزارة المعارف السعودية ، حيث يقوم القائم على المجلس بتلاوة الفقرة ، ويردّد الحاضرون وراءه ، فيحفظون ويتعلّمون .

● آيات وسور مستحبة في أوقات مخصوصة :

نزل القرآن الكريم صالحاً لكل زمان ومكان ، وكل حالٍ وأوان ، يقرؤه الناس ، ويتدبرون معانيه ، فهو كلام ربّ العالمين ، وحبله المتين ، وقوله الثقيل ، لا يحمله إلا فؤاد مؤيد بالتوفيق ، ونفس مزينة بالتوحيد . قال تعالى :

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمّل : ٥] .

وينبغي على قارئ القرآن أن يُعطي كتابَ الله تعالى حقّه ، فيعتني بتلاوته كلّ حين ، ويتدبّر مواضعه بين الفينة والأخرى ، ويتلو سوره وآياته لا سيما في أحوال مخصوصة وأوقات معينة ، جاءت بها السنّة ، ودلّت عليها الآثار والأخبار ، ومن ذلك :

١ - صلاة الفجر يوم الجمعة :

يستحبُّ قراءة سورة السجدة وسورة الإنسان في صلاة الفجر يوم الجمعة .

عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر ﴿ الم * تنزيل ﴾ السجدة ، و ﴿ هل أتى على الإنسان ﴾ (١) .

وفي رواية لمسلم : كان يقرأ في الصُّبح ، يوم الجمعة ، بـ ﴿ الم * تنزيل ﴾ في الركعة الأولى ، وفي الثانية : ﴿ هل أتى على الإنسان حين﴾

(١) رواه البخاري ومسلم .

مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ﴿١﴾ .

قال ابن حجر : قيل : الحكمة في اختصاص يوم الجمعة بقراءة سورة السجدة قصد السجود الزائد ، حتى إنه يُستحبُّ لمن لم يقرأ هذه السورة بعينها أن يقرأ سورةً غيرها فيها سجدة .

وقيل : إن الحكمة في هاتين السورتين الإشارة إلى ما فيهما من ذِكْرِ خَلْقِ آدَمَ ، وأحوال يوم القيامة ، لأنَّ ذلك كان ؛ وسيقع يوم الجمعة .

٢ - صلاة الجمعة :

من السنَّة أن يقرأ القارئُ في صلاة الجمعة سورة الجمعة في الركعة الأولى ، وسورة المنافقين في الثانية ، فعن ابن عباس : أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يقرأُ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين^(١) .

قال الصنعاني في (سبل السلام) :

وإنَّما خصَّهما بهما لما في سورة الجمعة من الحثِّ على حضورها ، والسَّعي إليها ، وبيان فضيلة بعثته ﷺ ، وذكُر الأربع الحكم في بعثته من أنه : يتلو عليهم آياته ، ويزكِّيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، والحثُّ على ذكر الله . ولما في سورة المنافقين من الوعظ ، والحثُّ على الصدقة والتوبة .

٣ - يوم الجمعة :

يستحب أن يقرأ سورة الكهف يوم الجمعة ، لحديث أبي سعيد الخدري قال :

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .

من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له النور فيما بينه وبين البيت العتيق^(١) .

وقال أبو المهلب البصري : من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة كان له كفارة إلى الجمعة الأخرى^(٢) .

٤ - أدبار الصلوات :

من السنة أن يقرأ دُبر كل صلاة بالمعوذتين .

فعن عقبة بن عامر قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوذتين دُبر كل صلاة^(٣) .

٥ - عند النوم :

إذا أوى الإنسان إلى فراشه فعليه أن يقرأ آخر سورة البقرة ، لقوله ﷺ :

« مَنْ قرأ الآيتين الآخرتين من سورة البقرة في ليلة كَفَتَاهُ »^(٤) .

وأن يقرأ سورة الإخلاص ، لقوله ﷺ :

« أيعجزُ أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ قالوا : ومن يُطبق

ذلك ؟ قال : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ثلثُ القرآن »^(٥) .

وأن يقرأ المعوذتين ، لحديث عائشة : أن النبي ﷺ كان إذا أوى

(١) رواه الدارمي في سننه والحاكم والبيهقي في الشعب .

(٢) رواه ابن الضريس في (فضائل القرآن) .

(٣) رواه أبو داود والترمذي والنسائي .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

(٥) رواه البخاري ومالك وأبو داود والنسائي وأحمد .

إلى فراشه كل ليلة ، جَمَعَ كَفَّيْهِ ، ثم نَفَثَ فِيهِمَا ، فقرأ ب ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ثم مَسَحَ بِهِمَا ما استطاعَ من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرَّات (١) .

٦ - عند الانتباه من النوم :

يُستحبُّ إذا انتبه من نومه أن يقرأ آخر آل عمران من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ إلى آخرها .

فعن ابن عباس قال : بثُّ عند خالتي ميمونة ، فقلت : لأنظرنَّ إلى صلاة رسول الله ﷺ ، فطرحت لرسول الله ﷺ وسادة ، فنام رسولُ الله ﷺ في طولها ، فجعل يمسحُ النومَ عن وجهه ، ثم قرأ الآيات العشر الأواخر من آل عمران حتى ختم (٢) ...

٧ - فيما يقرأ عند المريض :

يُستحبُّ أن يقرأ عند المريض بالفاتحة ؛ لقوله ﷺ : « ما أدراك أنَّها رُقِيَّةٌ » (٣) ؟

وقال ابن قيم الجوزية في (الداء والدواء) : مكثت بمكة مدَّة يعتريني أدواء ، ولا أجد طبيباً ولا دواء ، فكنتُ أعالجُ نفسي بالفاتحة ، فأرى لها تأثيراً عجبياً ، فكنتُ أصف ذلك لمن يشتكي الماء ، فكان كثيرٌ منهم يبرأ سريعاً .

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

٨ - فيما يُقرأ عند الميت :

يستحبُّ أن يُقرأ عند الميت سورة يس ، لقوله ﷺ :

« اقرؤوا يس على موتاكم المحتضرين »^(١) .

وقال ﷺ :

« ما من ميتٍ يُقرأ عليه سورة يس إلا هُوَنَ عليه »^(٢) .

كما يُستحبُّ إذ حضر الميت أن يُقرأ عنده سورة الرعد^(٣) .

قال السيوطي في (شرح الصدور) : فإنَّ ذلك يُخَفِّفُ عن الميت ، وإنه أهون لقبضه ، وأيسر لشأنه .

وعن الشعبي قال : كانت الأنصار يقرؤون عند الميت سورة البقرة^(٤) .

● دعاء لحفظ القرآن وطرد نسيانه :

يشكو كثيرٌ من الناس بأنهم لا يستطيعون حفظ الآيات القرآنية في أذهانهم مدَّةً طويلة ، فسرعان ما ينسونها ، ويُعلِّمنا رسول الله دعاءً مفيداً في هذه القضية الهامة .

وللدعاء آثار إيجابية مفيدة ، وله آفات أيضاً ، ومن هذه الآفات : استعجال العبد واستبطاء الإجابة ، فيُصاب بالحسرة ويَدْعُ الدعاء .

فعلى الإنسان أن يجمعَ مع الدعاء حضور القلب ، وتوتُّحي وقتاً من

(١) رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان .

(٢) رواه ابن مردويه والديلمي كما في (الدر المنثور) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة .

(٤) رواه ابن أبي شيبة .

أوقات الإجابة كالثلث الأخير من الليل ، وعند الآذان ، وبين الأذان والإقامة ، وأدبار الصلوات المكتوبات ، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر ، وآخر ساعة بعد العصر .

ومع ذلك لا بُدَّ من خشوع القلب ، وانكسار النفس بين يدي الله عز وجل ، والتضرُّع له سبحانه . كذلك ينبغي استقبال القبلة ، وكون الداعي على طهارة ، وأن يرفع يديه ، ويبدأ بحمد الله والثناء عليه ، وَيُصَلِّي وَيُسَلِّمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ويتوب ، ويستغفر ، ويُلِحُّ فِي الْمَسْأَلَةِ ، رغبةً ورهبةً ، ويمسحُ وجهه بيديه في آخر الدعاء ، ويخفض صوته ، ويجزم بالطلب ، ويتيقن من الإجابة ، ويصدق في الدعاء وهو يرجو ربه ، وألاً يستبطن الإجابة ، ويردّ المظالم ، ويُقبل على الله تعالى ، ويُقدِّم بين يديه دعائه صدقة . فإن هذا الدعاء لا يكاد يُردُّ أبداً .

عن ابن عباس قال : بينما نحنُ عند رسول الله ﷺ ، إذ جاءه علي بن أبي طالب فقال : بأبي أنت وأُمِّي ، تَقَلَّتْ هَذَا الْقِرْآنُ مِنْ صَدْرِي فَمَا أَجِدُنِي أَقْدِرُ عَلَيْهِ . فقال له رسول الله ﷺ :

« يَا أَبَا الْحَسَنِ ، أَفَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ ، وَيَنْفَعُ بِهِنَّ مَنْ عَلمَتْهُ ، وَيُثَبِّتُ مَا تَعَلَّمْتَ فِي صَدْرِكَ » ؟ قال : أجل يا رسول الله ، فَعَلِّمْنِي . قال :

« إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقُومَ فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَإِنَّهَا سَاعَةٌ مَشْهُودَةٌ ، وَالِدَعَاءُ فِيهَا مُسْتَجَابٌ . وَقَدْ قَالَ أَخِي يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ : ﴿ سَوْفَ أَسْتَعْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ [يوسف : ٩٨] . يقول :

حتى تأتي ليلة الجمعة . فإن لم تستطع فقم في وسطها ، فإن لم تستطع فقم في أولها ، فصل أربع ركعات ، تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب

وسورة يس ، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحَم الدخان ، وفي
 الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب ولم تنزِيل السجدة ، وفي الركعة الرابعة
 بفاتحة الكتاب وتبارك المفصّل ، فإذا فرغتَ من التشهُد ، فاحمد الله ،
 وأحسن الثناء على الله ، وصلّ عليّ وأحسِن ، وعلى سائر النبيين ،
 واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ، ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان ، ثم
 قل في آخر ذلك :

اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني ، وارحمني أن أتكلّف ما
 لا يعينني ، وارزقني حُسنَ النظر فيما يُرضيك عني .

اللهم بديع السماوات والأرض ، ذا الجلال والإكرام والعِزّة التي لا
 تُرام ، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تُلزم قلبي حفظَ
 كتابك كما علّمتني ، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يُرضيك عني .

اللهم بديع السماوات والأرض ، ذا الجلال والإكرام ، والعِزّة التي
 لا تُرام ، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تُنور بكتابك
 بصري ، وأن تُطلّق به لساني ، وأن تُفرّج به عن قلبي ، وأن تشرح به
 صدري ، وأن تُعسّل به بدني ، فإنه لا يعينني على الحقّ ولا يُؤتيه إلاّ
 أنت ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم .

يا أبا الحسن ! تفعل ذلك ثلاث جُمعٍ أو خمّساً أو سبعا تُحبّ
 بإذن الله تعالى . والذي بعثني بالحق ما أخطأ مؤمناً قط « (١) .



(١) رواه الترمذي ، والطبراني بنحوه .

وانظر التوسع في تخرّج الحديث ، وتنزيله على القواعد العملية ، في كتاب (هدي
 النبي ﷺ في الصلوات الخاصة) للدكتور نور الدين عتر
 (ص ٢٣٧ - ٢٣٩) .

الفصل الثالث

جودة الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة



جودة الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة

● معنى الترتيل :

الرَّتْلُ : حُسْنُ تَنَاسُقِ الشَّيْءِ . وَتَعَرُّ رَتْلٌ وَرَتْلٌ : حَسَنَ التَّنْضِيدِ مُسْتَوِي النَّبَاتِ ، وَقِيلَ : الْمَفْلَجُ ، وَقِيلَ : بَيْنَ أَسْنَانِهِ فُرُوجٌ لَا يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا . وَكَلَامٌ رَتْلٌ وَرَتْلٌ : أَيُّ مُرْتَلٍّ حَسَنٌ عَلَى تَوَدُّةٍ .
وَرَتَّلَ الْكَلَامَ : أَحْسَنَ تَأْلِيفَهُ وَأَبَانَهُ وَتَمَهَّلَ فِيهِ .

والترتيل في القراءة : الترسُّلُ فيها والتبيين من غير بغي . قال أبو العباس : ما أعلم الترتيل إلا التحقيق والتبيين والتمكين — أراد في قراءة القرآن — .

قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمّل : ٤] : بَيِّنُهُ تَبْيِينًا .

وقال أبو إسحاق : والتبيين لا يتم بأن يعجل في القراءة ، وإنما يتم التبيين بأن يُبَيِّنَ جميع الحروف ، ويُوفِّيها حقها من الإشباع .
وقال الضحاك : ابْنِذْه حَرْفًا حَرْفًا .

وفي صفة قراءة النبي ﷺ : كَانَ يُرْتَّلُ آيَةٌ آيَةً . وَتَرْتِيلُ الْقِرَاءَةِ : التَّائِي فِيهَا ، وَالتَّمَهَّلُ ، وَتَبْيِينُ الْحُرُوفِ وَالْحَرَكَاتِ ؛ تَشْبِيهًا بِالتَّغْرِ الْمُرْتَّلِ ، وَهُوَ الْمَشْبَهُ بِنُورِ الْأَقْحُوَانِ .

وقوله تعالى : ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان : ٣٢] : أَيُّ أَنْزَلْنَاهُ

على الترتيل ، وهو ضد العجلة ، والتَّمَكُّثُ فيه ، هذا قول الزجاج .
 وسُئِلَتْ أُمُّ سَلَمَةَ عَنْ قِرَاءَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَلَاتِهِ ؛ فَقَالَتْ :
 مَا لَكُمْ وَصَلَاتَهُ ! كَانَ يُصَلِّيْ ثُمَّ يَنَامُ قَدْرَ مَا صَلَّى ، ثُمَّ يُصَلِّيْ قَدْرَ مَا
 نَامَ ، ثُمَّ يَنَامُ قَدْرَ مَا صَلَّى ؛ حَتَّى يُصْبِحَ ، ثُمَّ نَعَتَتْ قِرَاءَتَهُ ، فَإِذَا هِيَ
 تَنَعَتْ قِرَاءَةً مَفْسَّرَةً حَرْفًا حَرْفًا (١) .

قال ابن القيم في (زاد المعاد) : كانت قراءته ﷺ ترتيلاً ، لا هذاً
 ولا عجلة ، بل قراءة مفسّرة حرفاً حرفاً ، وكان يقطع قراءته آية آية ،
 وكان يمدُّ حروف المد ، فيمدُّ الرحمن ويمدُّ الرحيم .

● فضل ترتيل القرآن :

جاءت السنّة النبويّة مُفَصَّلَةً الحديث في فضل ترتيل كتاب الله
 تعالى ، وقد نُهِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ السَّرْعَةِ فِي الْقِرَاءَةِ .
 فعن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ
 بِهِ ﴾ [القيامة : ١٦] قال :

كان رسولُ الله ﷺ إذا نزل عليه جبريلُ بالوحي ، وكان ممّا
 يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفْتَيْهِ ، فَيَسْتَدُّ عَلَيْهِ ، وَكَانَ يُعْرِفُ مِنْهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ
 الْآيَةَ الَّتِي فِي ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [القيامة : ١] ﴿ لَا تُحَرِّكُ
 بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ [القيامة : ١٦ -
 ١٧] فَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ وَقُرْآنَهُ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾
 [القيامة : ١٨] فَإِذَا أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾
 [القيامة : ١٩] قال : إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ . قال : وكان إذا

(١) رواه البخاري والنسائي وأبو داود والترمذي .

أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذَهَبَ قرأه كما وعده الله^(١) .

قال ابن حجر : نُهِيَ عن تعجيله بالتلاوة ، وهذا يقتضي استحباب التأني فيه ، وهو المناسب للتريتيل .

وعن عائشة : أَنَّهُ ذُكِرَ لها أَنَّ أناساً يقرءون القرآن في الليل مرة أو مرتين ، فقالت : أولئك قرؤوا ولم يقرؤوا ، كنت أقوم مع النبي ﷺ ليلة التمام ، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء ، فلا يمرُّ بآية فيها تخوُّفٌ إلا دعا الله واستعاذ ، ولا يمرُّ بآية فيها استبشارٌ إلا دعا ورعِبَ إليه^(٢) .

قال ابن كثير في (فضائل القرآن) :

وفيه والذي قبله دليل على استحباب ترتيل القراءة ، والترسل فيها من غير هذرمة ولا سرعة مُفْرِطَة ، بل بتأمل وتفكير . قال الله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ [ص : ٢٩] .

وعن حفصة - أم المؤمنين - قالت : كان النبي ﷺ يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها^(٣) .

قال ابن الأثير في (النهاية) : ترتيل القراءة : التأني فيها ، والتمهل ، وتبيين الحروف والحركات .

وقال أبو عبيد : حدثنا جرير ، عن مُغيرة ، عن إبراهيم قال : قرأ علقمة على عبد الله بن مسعود فكأنه عَجِلَ ، فقال عبد الله : فذاك

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه أحمد .

(٣) رواه مسلم .

أبي ، رَتَّل ، فإنه زينُ القرآن . قال : وكان علقمة حَسَنَ الصوت بالقرآن .

وعن أبي جَمْرَةَ قال : قلت لابن عباس : إني سريعُ القراءة ، وإني أقرأُ القرآن في ثلاث ، فقال : لَأَنْ أقرأُ البقرة في ليلةٍ فَأَدَّبَها وأرَتَّلها أحبُّ إليَّ من أن أقرأ كما تقول .

وعن عبد الله بن عمرو قال : يُقال لصاحب القرآن حين يدخل الجنة : اقرأ وارق في الجنة ، ورَتَّل كما كنت تُرَتَّل في الدنيا ، فإنَّ منزلتك في الدرجات عند آخر ما تقرأ^(١) .

قال الزركشي في (البرهان) :

تُكره قراءة القرآن بلا تدبُّر ، وعليه محلُّ حديث عبد الله بن عمرو : « لا يفقه مَنْ قرأ القرآن في أقل من ثلاث »^(٢) .

قال المناوي : أي لا يفهم ظاهر معانيه مَنْ قرأه في أقل من هذه المدَّة ، وأمَّا إذا أعمل فكره ، وأمعن تدبُّره ، فلا يفهم أسرارهِ إلَّا في أزمان متطاولة ، ويُفهم منه نفى التفهيم لا نفي الثواب . ثم يتفاوت هذا بتفاوت الأشخاص وأفهامهم . ثم إنَّ هذا لا حُجَّة فيه لمن ذهب إلى تحريم قراءته في دون ثلاث كابن حزم ؛ إذ لا يلزم من عدم فهم معناه تحريم قراءته . ذكره العراقي .

وقال ابن مسعود لمن أخبره أنه يقوم بالقرآن في ليلة : أهدأ كهذَّ الشعْر . أي : أتهذَّ القرآن فتُسرع فيه كما تُسرع في قراءة الشعْر^(٣) !؟

(١) رواه الحاكم .

(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه .

(٣) انظر : لسان العرب مادة (هذَّ) .

وعن مالك قال :

من الناس من إذا هَدَّ كان أخفَّ عليه ، وإذا رَتَّل أخطأ . ومن الناس من لا يُحسِنُ هذا . والناس في هذا على قَدَرِ درجاتهم وما يخفُّ عليهم ، وكلُّ واسع^(١) .

● مدّ القراءة وتقطيعها :

عن قتادة قال : سألتُ أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال : كان يمدُّ مدًّا^(٢) .

وسُئِلَ أنس : كيف كانت قراءةُ النبي ﷺ ؟ فقال : كانت مدًّا . ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، يمدُّ بيسم الله ، ويمدُّ بالرحمن ، ويمدُّ بالرحيم^(٣) .

قال ابن حجر في (فتح الباري) :

المدُّ عند القراءة على ضربين :

أصلي : وهو إشباع الحرف الذي بعده ألف أو واو أو ياء .

وغير أصلي : وهو ما إذا أعقب الحرف الذي هذه صفته همزة .

وهو متصل ومنفصل :

فالمتصل : ما كان من نفس الكلمة . والمنفصل : ما كان بكلمة

أخرى .

فالأول يُؤتى فيه بالألف والياء ممكنات من غير زيادة ، والثاني يُزاد

(١) ذكره القرطبي في (التذكار) .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه البخاري .

في تمكين الألف والواو والياء زيادةً على المدّ الذي لا يمكن النطق إلا به من غير إسراف .

والمذهب الأعدل أنه يمدّ كلَّ حَرْفٍ منها ضعفي ما كان يمدّه أولاً ، وقد يُزاد على ذلك قليلاً ، وما فرط فهو غير محمود .
ويراد من المد في الحديث السابق المدّ الأوّل :

وعن قطبة بن مالك قال : سمعتُ رسول الله ﷺ قرأ في الفجر ﴿ ق ﴾ [الآية : ١] فمرَّ بهذا الحرف : ﴿ لَهَا طَلَعٌ نَضِيدٌ ﴾ فمدَّ ﴿ نَضِيدٌ ﴾ (١) .

وعن أمّ سلمة قالت : كان رسولُ الله يقطّع قراءته لـ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ وهكذا (٢) .

قال القرطبي : قال علمائنا - رحمة الله عليهم - قول أم سلمة : « كان يقطّع قراءته » يدخل فيه جميع ما كان يقرؤه عليه السلام من القرآن ، وإتّما ذكرتُ (فاتحة الكتاب) لِتُبَيِّنَ صفة التقطيع ، أو لأنّها أمّ القرآن ، فيُغني ذكرها عن ذكر ما بعدها ، كما تُغني قراءتها في الصلاة عن قراءة غيرها ؛ لجواز الصلّاة بها ، وإلا فالتقطيع عام لجميع القراءة ؛ لظاهر الحديث .

وتقطيع القراءة آيةً آيةً أولى عندنا من تتبّع الأغراض والمقاصد والوقوف عند انتهائها ، لحديث أمّ سلمة - رضي الله عنها - .

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه أبو داود والترمذي .

● الترجيع :

عن عبد الله بن مَعْقِل قال : رأيتُ النبي ﷺ وهو على ناقته - أو جملة - وهي تسيرُ به ، وهو يقرأ سورةَ الفتح - أو من سورة الفتح - قراءةً لينةً ، يقرأ وهو يُرْجِعُ (١) .

قال ابن حجر : الترجيع : هو تقاربُ ضروب الحركات في القراءة ، وأصلُه التردد ، وترجيُعُ الصوت : ترديدهُ في الحلق .

وحكى عبد الله بن مَعْقِل تجرِيعَ النبي ﷺ بقوله : أأأ بهمزة مفتوحة بعدها ألف ساكنة ثم همزة أخرى .

وهذا يحتمل أمرين :

أحدهما أنَّ ذلك حدث من هَزَّ الناقة ، والآخر أنه أشبع المدَّ في موضعه فحدثَ ذلك ، وهذا الثاني أشبه بالسياق ، فإنَّ في بعض طرقه : « لولا أن يجتمع الناسُ لقرأتُ لكم بذلك اللحن » أي النغم .

وقد ثبت الترجيعُ من حديث أم هانئ قالت : كنتُ أسمعُ صوتَ النبي ﷺ وأنا نائمةٌ يُرْجِعُ القرآنَ (٢) .

والذي يظهرُ أنَّ في الترجيع قدرًا زائدًا على الترتيل ، فعند ابن أبي داود من طريق أبي إسحاق عن علقمة قال : بُتُّ مع عبد الله بن مسعود في داره ، فنام ثم قام ، فكان يقرأُ قراءةَ الرجل في مسجد حيه ، لا يرفعُ صوته ، ويسمعُ من حوله ، ويرتُّل ولا يُرْجِعُ .

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة : معنى الترجيع تحسين التلاوة لا

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه الترمذي في (الشمائل) والنسائي وابن ماجه وابن أبي داود .

ترجيع الغناء ؛ لأنَّ القراءة بترجيع الغناء تُنافي الخشوع الذي هو مقصود التلاوة .

وقال ابن القيم في (زاد المعاد) :

إنَّ هذا الترجيعَ منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان اختياراً لا اضطراراً لهزَّ الناقَة له ، فإنَّ هذا لو كان لأجل هزَّ الناقَة لما كان داخلاً تحت الاختيار ، فلم يكن عبد الله بن مُعَمَّل يحكيه ويفعله اختياراً ليتأسَّى به ، وهو يرى هزَّ الرَّاحلة حتَّى يتقطَّع صوته ، ثم يقول : كان يرجع في قراءته ، فنسب الترجيع إلى فعله . ولو كان من هزَّ الرَّاحلة لم يكن منه فِعْلٌ يُسَمَّى ترجيعاً .

وقال القرطبي : الخلاف — في مسألة الترجيع — إنما هو ما لم يهيم معنى القرآن بتريد الأصوات ، وكثرة الترجيعات ، فإن زاد الأمر على ذلك حتى لا يُفْهَم معناه ، فذلك حرامٌ باتِّفاق ، كما يفعل بالديار المصريَّة الذين يقرؤون أمام الملوك والجنائز ، ويأخذون على ذلك الأجور والجوائز ، ضلَّ سعيهم ، وخاب عملهم ، فيستحلُّون بذلك تغيير كتاب الله ، ويهونون على أنفسهم الاجترار على الله عزَّ وجلَّ ، بأن يزيدوا في تنزيله ما ليس فيه ، جهلاً منهم بدينهم ، وخروجاً عن سنَّة نبيِّهم ، ورفضاً لسيرة الصَّالحين فيه عن سلفهم ، ونزوعاً إلى ما زين لهم الشيطانُ من أعمالهم ، وهم يحسبون أنهم يُحسِنون صنْعاً ، خاب سعيهم ، وضلَّ عملهم ، فهم في غيِّهم يتردَّدون ، وبكتاب الله يتلاعبون ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون ، لكن قد أخبر الصَّادقُ : أن ذلك يكون ، فكان كما أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

● حُسْنُ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ :

دَعَتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ إِلَى تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ ، وَقَدْ

تعددت الأحاديث في هذا المجال ، ومن ذلك ما رُوي عن أبي موسى أن النبي ﷺ قال له : « يا أبا موسى ، لقد أوتيت مِزماراً من مزامير آل داود » (١) .

وعن أبي بردة أن النبي ﷺ وعائشة مرّا بأبي موسى وهو يقرأ في بيته ، فقاما يستمعان لقراءته ، ثم إنهما مضيا . فلما أصبح لقي أبو موسى رسول الله ﷺ فقال : « يا أبا موسى ، مررت بك » فذكر الحديث ، فقال : أما إني لو علمتُ بمكانك لحبّرتك لك تحبيراً (٢) .

و « التحبير » : التزيين والتحسين ، فلو علم أن النبي ﷺ كان يسمعه لمدّ في قراءته ورثّلها ، كما كان يقرأ على النبي ﷺ ، فيكون ذلك زيادة في حسن صوته بالقرآن ، وهو معنى ما رُوي عن عبد الله ابن الزبير أنه قال : ما أدركتُ رجلاً من المهاجرين إلّا وقد سمعته يترنّم بالقرآن .

وقال العلماء :

تزيين وتحسين الصوت به ، والتطريبُ بقراءته أوقع في النفوس ، وأدعى إلى الاستماع ، والإصغاء إليه ، ففيه تنفيذ للفظه إلى الأسماع ، ومعانيه إلى القلوب ، وذلك عونٌ على المقصود ، وهو بمنزلة الحلاوة التي تُجعل في الدواء لتنفذه إلى موضع الداء ، وبمنزلة الطيب الذي يُجعل في الطعام لتكون الطبيعة أدعى له قبولاً .

ولا بُدّ للنفس من طَرَبٍ واشتياقٍ إلى الغناء ، فعَوّضت عن طرب الغناء بطرب القرآن ، فقد كانت العرب تتغنّى بالركباني (٣) إذا ركبت

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه أبو يعلى .

(٣) « الركباني » : نشيدٌ بالمدّ والتمطيط .

وإذا جلست في الألفية ، وعلى أكثر أحوالها ، فلما نزل القرآن أحبَّ النبي ﷺ أن تكون هجيراتهم بالقرآن مكان التغني بالركباني .

وهذا التعويض كما عوّضت عن كل مُحَرَّم ومكروه بما هو خير لها منه ، وكما عوّضت عن الاستسقام بالأزلام بالاستخارة التي هي محض التوحيد والتوكل ، وعن السّفاح بالنكاح ، وعن القمار بالمرأنة بالنصال وسباق الخيل ، وعن السماع الشيطاني بالسماع الرحماني القرآني .

والمحرّم لا بُد أن يشتمل على مفسدة راجحة أو خالصة ، وقراءة التطريب والألحان لا تتضمّن شيئاً من ذلك ، فإنها لا تُخرج الكلام عن وضعه ، ولا تحول بين السامع وبين فهمه .

والتطريب والتلحين راجعٌ إلى أمرين : مدّ وترجيع .

ودليل هذا القول ما رواه البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال : « زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ » ^(١) .

ورواه الحاكم بزيادة : « فَإِنَّ الصَّوْتِ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا » .

قال المناوي : « زينوا أصواتكم بالقرآن » أي الهجوا بقراءته ، واشغلوا أصواتكم به ، واتخذوه شعاراً وزينةً لأصواتكم ، ففي أدائه بحسن الصوت وجودة الأداء بَعَثُ للقلوب على استماعه وتدبره ، والإصغاء إليه .

(١) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي والبخاري تعليقاً وابن حبان في (الموارد) .

قال التوربشتي : هذا إذا لم يُخرجه التغمّي عن التجويد ، ولم يصرفه عن مراعاة النظم في الكلمات والحروف فإن انتهى إلى ذلك عاد الاستحباب كراهةً .

وقال ابنُ بطال : المراد بقوله : « زينوا القرآن بأصواتكم » المدّ ، والترتيل . والمهارة في القرآن : جودة التلاوة بجودة الحفظ ، فلا يتلعثم ، ولا يتشكك ، وتكون قراءته سهلة بتيسير الله تعالى كما يسره على الكرام البررة .

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« الماهر بالقرآن مع السّفرة الكرام البررة ، وزينوا القرآن بأصواتكم » (١) .

قال ابنُ بطال : لعلّ البخاري أشار إلى أن الماهر بالقرآن هو الحافظ له مع حُسْن الصوت به ، والجهر به بصوتٍ مطرب ، بحيث يلتذُّ سامعه .

قال ابن حجر : والذي قصده البخاري إثبات كون التلاوة فعل العبد ، فإنها يدخلها التزيين والتحسين والتطريب .

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« ما أذنَ اللهُ لشيءٍ ما أذنَ لنبِيِّ حَسَنَ الصوت بالقرآن يجهر به » (٢) .

وعند مسلم : « ما أذنَ لنبِيِّ يتغمّي بالقرآن » .

(١) رواه البخاري تعليقاً .

(٢) رواه البخاري .

قال الشافعي : يُحسِّنُ صوته به . وفي رواية : معناه تخزين القراءة وترقيقها .

وعن عائشة قالت : أبطأتُ على رسول الله ﷺ ليلةً بعد العشاء ، ثم جئتُ ، فقال : « أين كنتِ » ؟ قلت : كنتُ أسمع قراءةَ رَجُلٍ من أصحابك ، لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد ، قالت : فقام وقمتُ معه حتى استمعَ إليه ، ثم قال :

« هذا سالم مولى أبي حذيفة ، الحمد لله الذي جعلَ في أمّتي مثلَ هذا » (١) .

قال المعارضون للترجيع والتطريب : وجه الدليل قولها : لم أسمع مثل قراءته وصوته ، ولم تقل : مثل ترجيعة وتطريبه وتغنييه .

والذي يرفع الإشكال بين مؤيدي التطريب ومعارضيه قوله ﷺ : « تعلموا القرآن ، وتغنّوا به ، واكتبوه ، فوالذي نفسي بيده هو أشدُّ تَفْصِيًّا من الخاض من العِقل » (٢) .

أي اقرؤوا القرآن بتحزين وترقيق ، وليس المراد قراءته بالألحان والنعلمات ، فهو أشد خروجاً وتفلّناً من النوق الحوامل من محبسها ، فإذا انفلتت لا تكاد تُلحق .

وعن طاووس قال : أحسن الناس صوتاً بالقرآن أحشاهم لله (٣) .
وقال ﷺ :

(١) رواه أحمد وابن ماجه .

(٢) رواه أحمد والدارمي وابن أبي شيبة .

(٣) رواه ابن أبي شيبة .

« إِنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا مَنْ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ يَقْرَأُ حَسِبْتُمُوهُ يُخْشَى اللَّهَ تَعَالَى » (١) .

وقد عُلِمَ أن قراءة القرآن تناقلها العلماء من جيل إلى جيل . وليس فيها تلحين ولا تطريب ، ولا زيادة ولا نقصان .

والذي يظهر أن المراد بالتغني : تحسينُ القارئ صوتَه ، وأن يُميله نحو التحزُّن ، لقوله ﷺ : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ فَاقْرَؤُوهُ بِحُزْنٍ » (٢) .

أَمَّا قَوْلُهُ ﷺ :
« لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ » (٣) .

قال سفيان بن عيينة : معناه من لم يستغن به ، ولا يُذْهَبُ به إلى الصوت .

وقال أبو عبيد في (غريب الحديث) : وليس للحديث عندي وجه غير هذا ، ويبيِّن ذلك حديث عبد الله : من قرأ سورة آل عمران فهو غني . وعنه قال : نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها من آخر الليل .

قال أبو عبيد : فأرى الأحاديث كلها إنما دلَّت على الاستغناء .
وقد فُسِّرَ التَغْنِيُّ بِالتَّحْزُنِّ وَالتَّرْتِمِّ ، وَفُسِّرَ بِالْجَهْرِ ؛ وَهُوَ تَحْسِينُ الْقِرَاءَةِ وَالتَّحْزِينَ بِهَا .

وعن المهاجر بن حبيب قال : قال رسول الله ﷺ :

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) رواه ابن ماجه والطبراني في الأوسط .

(٣) رواه البخاري وأحمد والدارمي .

« يا أهل القرآن ، لا توسّدوا القرآن ، واثّلوه حقّ تلاوته آناء الليل والنهار ، وتغنّوه ، واقتنوه ، واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون » (١) .

قال أبو عبيد : « تغنوه » : يعني اجعلوه غناءكم من الفقر ، ولا تعدّ الإقلال معه فقراً . وقوله : « واقتنوه » : يعني كما تقتنون الأموال ، اجعلوه مالكم .

وعن شعبة قال : نهاني أيوب أن أحدث بهذا الحديث : « زينوا القرآن بأصواتكم » . قال أبو عبيد : وإنما كرهه أيوب — فيما نرى — أن يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة من رسول الله ﷺ في الألقان المبتدعة ، فلهدأناه أن يحدث به .

قال ابن كثير في (فضائل القرآن) :

ثم إن شعبة روى الحديث متوكّلاً على الله ، كما روي له ، ولو ترك كل حديث يتأوله مبطل لتترك من السنة شيء كثير ، بل قد تطرّفوا إلى تأويل آيات كثيرة من القرآن ، وحملوها على غير محاملها الشرعية المرادة ، وباللغة المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والمراد من تحسين الصوت بالقرآن : تطريبه وتخزينه والتخشع به ، فعن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « لو رأيته وأنا أستمع قراءتك البارحة » ! قال : أما والله لو علمت أنك تستمع قراءتي لحبّرتها لك تحبيراً .

قال ابن كثير : والغرض أن أبا موسى قال : لو أعلم أنك تستمع لحبّرتك لك تحبيراً . فدّل على جواز تعاطي ذلك وتكلفه . وقد كان أبو

(١) رواه البيهقي .

موسى قد أعطي صوتاً حسناً مع خشية تامة ، ورقة أهل اليمن الموصوفة ، فدلّ على أن هذا من الأمور الشرعية .

وعن أبي عثمان النهديّ قال : كان أبو موسى يُصلي بنا ، فلو قلت : إني لم أسمع صوت صنّج^(١) قطُّ ولا بربيط^(٢) قطُّ ، ولا شيئاً قطُّ أحسن من صوته [لم أبلغ]^(٣) .

وقد كان صوتُ رسول الله ﷺ حسناً ، فعن جُبَيْر بن مُطْعِم قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، فما سمعتُ أحداً أحسن صوتاً - أو قال : قراءة منه^(٤) - .

وفي بعض ألفاظه : فلما سمعته قرأ : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الطور : ٣٥] خِلْتُ أَنَّ فَوَادِي قَدْ انْصَدَع .

وكان جُبَيْر لما سمع هذا بعدُ مشركاً على دين قومه ، وإنما قَدِمَ في فداء الأسارى بعد بدر ، وناهيك بمن تُؤثّر قراءته في المشرك المُصِرِّ على الكفر ! وكان هذا سبب هدايته . ولهذا كان أحسن القراءة ما كان عن خشوع القلب .

والغرضُ أن المطلوبَ شرعاً إنما هو التحسينُ بالصوت ؛ الباعث على تدبُّر القرآن ، وتفهُمه ، والخشوع ، والخضوع ، والانقياد للطاعة .

والتطريبُ المقبول هو ما اقتضته الطبيعة ، وسمحت به من غير

(١) « الصنّج » : صفيحة مدوّرة من صُفْر يُضْرَب بها على الأخرى .

(٢) « البريط » : العود .

(٣) زيادة يقتضها السياق .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

تكلّف ولا إخلال بأحكام التلاوة .

والحزين من هاجه الطرب والحبّ والشوق ، لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة ، ولكن النفوس تقبله وتستحليه لموافقته الطبع ، وعدم التكلف والتصنّع ، فهو مطبوع لا متطبّع ، وكلف لا متكلف . فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويستمعون إليه ، وهو التغني المدحوح المحمود ، وهو الذي يتأثر به السامع والتالي .

ومن القراء من يخرج عن جادة الصواب ، ويتبع ألحان أهل الفسق ، ويركب النغمات المحدثه وفق قوانين موسيقية ، ويخرج عن الطبع السمع إلى التكلف والتصنّع والترن ، فهذا العمل مذموم ، وقد عابه السلف وذمّوه ، ومنعوا القراءة به . وقد جاءت السنة بالنهي عنه ، والزجر عن فعله ، فعن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ :

« اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتائب ، وسيجيء قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم » (١) .

فقراءة القرآن على مذاهب الغناء محذور كبير ، فليتنبه لذلك القراء ، وليتقوا الله ربهم ، فالتعطيط الفاحش قد يسبب زيادة حرف أو نقصان حرف ، وهذا حرام باتفاق العلماء .

● تجويد القرآن :

١ - معنى التجويد :

يقال : الجيّد : نقيض الرديء ، وأجاد : أتى بالجميل من قول أو

(١) رواه الطبراني وأبو عبيد في (غريب الحديث) .

عمل ، ومثله أَجَوَدَ وَجَادَ . وتَجَوَّدَ الشيء : تخيَّره ، وطلب أن يكون جيِّداً ، وتَجَوَّدَ العمل : تأنَّقَ فيه .

فالتجويد بمعنى التحسين والتكميل والإتقان . هذا في اللغة .

وأما معنى التجويد في الاصطلاح ، فهو علم يُعرف به إعطاء كلِّ حَرْفٍ حَقَّهُ مَخْرَجاً وَصِفَةً .

٢ - الغاية من علم التجويد :

للتجوية غاية هي إتقانُ قراءة القرآن ، بالنطق بحروفه ، مكتملة الأحكام والصفات ، ومحققة المخارج ، من غير زيادةٍ ولا نقصان ، ولا تعسُّف ولا تكلف ، وبذا نصون اللسان عن الخطأ في كتاب الله تعالى ، ويكون القارئُ قد تلا القرآن على الطريقة النبوية واللغة العربية الفصحى .

وهو أيضاً زينة للتلاوة سواء أكانت :

ترتيلاً : ويعني التؤدة والتمهّل في القراءة .

أو حَدْرًا : ويعني سرعة القراءة ودَرْجها ، مع إعطاء كلِّ حَرْفٍ حَقَّهُ من المخارج والصفات والمدود .

أو تدويراً : ويعني التوسط بين الحَدْر والترتيل .

أو تحقيقاً : ويعني نوعاً من الترتيل مع مراعاة أحكام التجويد من إشباع المدود ، وإتمام الحركات ، وتوفية الغنّات ، وهذه الطريقةُ تفيد المتعلمين .

قال ابن الجزري في (المقدمة) :

وهو أيضاً حلية التلاوة وزينة الأداء والقراءة
ويصلُ القارئ إلى إتقان علم التجويد بالممارسة ، والمداومة
على القراءة ، وبالتكرار ، والسماع من أفواه المختصين بهذا العلم ،
كما قال ابن الجزري :

وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَرْكِهِ إِلَّا رِيَاضَةٌ أَمْرِيءٍ بِفِكَهِ
٣ - حكم علم التجويد :

العلمُ به فرضُ كفاية ، والعمل به فرضُ عينٍ على كلِّ قارئ ،
بدليل قوله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ [المزل : ٤] .
قال علي بن أبي طالب : الترتيلُ هو تجويدُ الحروف ومعرفة
الوقوف^(١) .

وقال الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ [البقرة : ١٢١]
يعني : يقرؤونه حقَّ قراءته^(٢) .

وقال ﷺ :

« إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ أَنْ يُقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ »^(٣) .

وعن عبد الله بن مسعود أنه كان يُقْرَى رجلاً ، فقرأ الرجلُ :
﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ مرسلَةً ، فقال ابنُ مسعود :

(١) ذكره ابن الجزري في (النشر) .

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (٩٦ / ٢) .

(٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه .

ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فقال : كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ فمدّها^(١) .

وقال ابن الجزري :

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يُجوِّد القرآن آثم فجعله واجباً شرعياً ، من تركه فهو آثم ، أي من لم يُصحِّح قراءته بأن يقرأ قراءة تُخَلِّ بالمعنى ، وهذا الإخلال يُسمَّى لحناً ، وينقسم إلى قسمين :

أ - لحن جلي :

وهو خطأ في اللفظ يُخَلِّ بالمعنى والإعراب ، كتبديل حرف بآخر ، أو حركة بأخرى ، كضم التاء في ﴿ أَنْعَمْتَ ﴾ وهذا فسادٌ للمعنى . أو أن يُحرِّك المجزوم في قوله ﴿ لم يلد ﴾ . أو يترك المد الطبيعي في مثل قوله ﴿ قال ﴾ ، ﴿ إنا نحن ﴾ .

وهذا النوع من اللحن ينبغي أن يجتنبه كل قارئ ، ويترتبُ الإثم على من ترك التجويد فيه .

ب - لحن خفي :

وهو خطأ يتعلَّق بكمال إتقان النطق لا بتصحيحه ، كأن يترك إخفاء أو مد مقصور ، وقصر ممدود ، وتغليظ اللامات ونحو ذلك ، وهذا لا يتقنه إلا حدّاق أهل الفن في علم التجويد .

(١) رواه مالك والنسائي .

٤ - بعض أحكام التجويد :

١ - أحكام النون الساكنة :

النون الساكنة : نون تثبت لفظاً وخطاً ، وصلاً ووقفاً ، وترد في الأسماء والأفعال والحروف ، وتقع متوسطة ومتطرفة .

والتنوين : نون ساكنة زائدة ، تتبع آخر الاسم لفظاً ، وتفارقه خطأ ووقفاً .

وللنون الساكنة والتنوين أحكام : هي الإظهار والإدغام والإقلاب والإخفاء .

أ - الإظهار :

في اللغة : الإيضاح والبيان .

وفي الاصطلاح : النطق بكل حرف من مخرجه بغير غنة ، وذلك إذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروفه .

وحروف الإظهار ستة ، هي : (أ - ه - ع - ح - غ - خ) . وقد جمعها الناظم بقوله :

هَمْزٌ فَهَاءٌ ثُمَّ عَيْنٌ حَاءٌ مُهْمَلَتَانِ ثُمَّ غَيْنٌ خَاءٌ

ومثاله :

﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ ﴿ كُلُّ آمَنَ ﴾

﴿ مِنْهُمْ ﴾ ﴿ إِنَّ هُوَ ﴾ ﴿ فَرِيقًا هَدَى ﴾

﴿ أَنْعَمْتَ ﴾ ﴿ مَنْ عَمِلَ ﴾ ﴿ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

﴿ وَأَنْحَرُ ﴾ ﴿ مَنْ حَادَّ اللَّهَ ﴾ ﴿ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

﴿ فَسَيُغَضُّونَ ﴾ ﴿ مِنْ غِلٍّ ﴾ ﴿ قَوْلًا غَيْرَ ﴾
 ﴿ وَالْمُنْحِنَةَ ﴾ ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ ﴿ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةً ﴾

ب - الإدغام :

في اللغة : الإدخال .

وفي الاصطلاح : إدخال حرف ساكن بحرف متحرك بحيث
 يصيران حرفاً واحداً مُشَدَّداً ، وذلك إذا وقع بعد النون الساكنة أو
 التنوين حرف من حروفه .

وحروفه ستة ، مجموعة بلفظ : (يرملون) .

ويُقسم إلى قِسْمَيْنِ :

● إدغام بَعْنَةٍ : وحروفه : (ي - و - م - ن) وهي

مجموعة بلفظ : (يومن) .

ومثاله :

﴿ إِنْ يَشَأْ ﴾ ﴿ آيَةٌ يُعْرَضُوا ﴾
 ﴿ مِنْ وَاقٍ ﴾ ﴿ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾
 ﴿ مِنْ مَاءٍ ﴾ ﴿ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾
 ﴿ إِنْ نَعْفُ ﴾ ﴿ شَيْءٍ نُنْكَرُ ﴾

● إدغام بلا عُتَّة : وله حرفان : (ل - ر) وهي مجموعة

بلفظ : (لر) .

ومثاله :

﴿ وَمَنْ لَمْ ﴾ ﴿ يَوْمَئِذٍ لَحْبِيرٌ ﴾
 ﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ﴿ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

والغنة : صوت يخرج من الخيشوم ، لا عمل للسان فيه ، ويكون بمقدار حركتين .

ج - الإقلاب :

في اللغة : هو تحويل الشيء عن وجهه .

وفي الاصطلاح : قلب النون الساكنة أو التنوين ميماً ، مع الغنة عند الباء .

وحرف الإقلاب واحد هو : الباء .

ومثاله : ﴿ مِنْ بَعْدِ ﴾ ﴿ الْأَنْبِيَاءِ ﴾ ﴿ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ﴿ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ .

د - الإخفاء :

في اللغة : الستر .

وفي الاصطلاح : هو حالة بين الإظهار والإدغام من غير تشديد مع بقاء الغنة ، وذلك إذا أتى بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروفه .

وحروفه هي خمسة عشر حرفاً ، جمعها الجمزوري في أوائل هذا البيت :

صِفْ ذَا ثَنَا جُودَ شَخْصٍ قَدْ سَمَا كَرَمًا
ضَعْ ظَلَمًا زِدْ تُقَى دُمَ طَالِبًا فَتَرَى
وأمثلته :

ص : ﴿ يَنْصُرُكُمْ ﴾ ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ ﴾ ﴿ رِيحًا صَرَّصَرًا ﴾
ذ : ﴿ لِيُنذِرَ ﴾ ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي ﴾ ﴿ ظَلُّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴾

- ث : ﴿ مَثُورًا ﴾ ﴿ مِنْ ثَمَرَةٍ ﴾ ﴿ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾
- ج : ﴿ وَأَنْجَيْنَا ﴾ ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا ﴾ ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا ﴾
- ش : ﴿ أَنْشَأَ ﴾ ﴿ فَمَنْ شَهِدَ ﴾ ﴿ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾
- ق : ﴿ يَنْقَلِبُ ﴾ ﴿ مِنْ قَبْلِ ﴾ ﴿ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾
- س : ﴿ مَا نَنْسَخُ ﴾ ﴿ أَنْ سَيَكُونَ ﴾ ﴿ رَجُلًا سَلَمًا ﴾
- ك : ﴿ أَنْكَالًا ﴾ ﴿ مَنْ كَانَ ﴾ ﴿ قَوْلًا كَرِيمًا ﴾
- ض : ﴿ مَنْضُودٌ ﴾ ﴿ مِنْ ضَعْفٍ ﴾ ﴿ عَذَابًا ضِعْفًا ﴾
- ظ : ﴿ فَاظْطُرُّوا ﴾ ﴿ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ ﴿ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾
- ز : ﴿ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ ﴿ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ ﴿ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾
- ت : ﴿ كُنْتُمْ ﴾ ﴿ وَإِنْ تُبْتُمْ ﴾ ﴿ جَنَاتٍ تَجْرِي ﴾
- د : ﴿ عِنْدَهُ ﴾ ﴿ وَلَمَنْ دَخَلَ ﴾ ﴿ قِنَوَانَ دَانِيَةً ﴾
- ط : ﴿ يَنْطِقُونَ ﴾ ﴿ مِنْ طِينٍ ﴾ ﴿ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾
- ف : ﴿ لِيُنْفِقَ ﴾ ﴿ فَإِنْ فَاءَتْ ﴾ ﴿ خَالِدًا فِيهَا ﴾

٢ - المدود :

● تعريف المد : هو إطالة الصوت بحرفٍ من حروف المد ، وهي ثلاثة : الواو الساكنة المضموم ما قبلها ، والياء الساكنة المكسور ما قبلها ، والألف الساكنة المفتوح ما قبلها ، المجموعة في قوله تعالى : ﴿ نُوحِيهَا ﴾ .

● عدد المدود : هي تسعة : لازم ، ومتصل ، ومنفصل ، وعارض للسكون ، وبدل ، وعوض ، وصلة ، ولين .

أ - المد اللازم :

هو أن يكون بعد حرف المد حرف ساكن سكونا أصلياً ، ويمد بمقدار ست حركات لزوماً .
وهو أربعة أقسام :

– كلمي مُثَقَّل : أن يكونَ في الكلمة بعد حرف المدِّ حَرْفٌ مُشَدَّد ، نحو : ﴿ الحاقَّة ﴾ .

– كلمي مُخَفَّف : أن يكونَ في الكلمة بعد حرف المدِّ حَرْفٌ ساكن غير مُشَدَّد ، نحو ﴿ الآن ﴾ .

– حرفي مُثَقَّل : أن يكونَ في الحرف بعد حرف المدِّ حَرْفٌ مُشَدَّد ، مثل المد على اللام في ﴿ آلم ﴾ .

– حرفي مُخَفَّف : أن يكونَ في الحرف بعد حرف المدِّ حَرْفٌ ساكن غير مُشَدَّد ، مثل المد في الميم ﴿ آلم ﴾ .

ب – المد المتصل :

وهو أن يكون حرف المدِّ ويليه الهمزُ في كلمةٍ واحدة ، نحو : ﴿ أولئك ﴾ .

ويُمدُّ بمقدارِ خَمْسِ حركاتٍ وُجُوباً .

وإذا كانت الهمزة في آخر الكلمة يُمدِّ ستَّ حركات ، نحو ﴿ السماء ﴾ مع الوقف .

ج – المد المنفصل :

وهو أن يأتي حرف المدِّ في آخر كلمة ، ويليه الهمزُ في أول كلمةٍ أُخرى ، نحو : ﴿ بِمَا أُنزِل ﴾ ، ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ﴾ .

ويُمدُّ بمقدارِ خَمْسِ حركاتٍ جوازاً .

د – المدِّ العارض للسكون :

وهو أن يأتي بعد حرف المدِّ حرف متحرك ، ويُوقف عليه

بالسكون ، نحو : ﴿ نستعين ﴾ ﴿ مفلحون ﴾ ويمدّ حركتان أو أربع أو ست .

هـ - مدّ البدل :

وهو أن يأتي همزٌ ويليه مدٌّ في كلمةٍ واحدة ، نحو : ﴿ آمنوا ﴾ ﴿ إيماناً ﴾ .

ويمدّ بمقدار حركتين .

و - مدّ العوض :

وهو مدٌّ في حالة الوقف عوضٌ عن فتحتين في حالة الوصل ، نحو : ﴿ غفوراً رحيماً ﴾ .

ويمدّ بمقدار حركتين ..

ز - مدّ الصلة :

وهو مدّ هاء الضمير بشرط أن يكون قبلها متحركٌ وبعدها متحركٌ . فتوصل بواو إن كانت مضمومة ، نحو : ﴿ ولَهُ أَخٌ ﴾ ، وتوصل بياء إن كانت مكسورة ، نحو : ﴿ ظَلَمِهِ وَأَصْلَحَ ﴾ .

ويُستثنى من هذا المد قوله : ﴿ فِيهِ مَهَاناً ﴾ [الفرقان : ٦٩] فإنها تُمدّ .

وهو قسمان :

- صلة كبرى : إذا جاء المتحرك الهاء همزة ، نحو : ﴿ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ ، ويمدّ بمقدار خمس حركات جوازاً .

- صلة صغرى : إذا كان المتحرك بعد الهاء غير همزة ، نحو : ﴿ إِنَّهُ هُوَ ﴾ ، ويمدّ بمقدار حركتين .

ويستثنى من ذلك قوله : ﴿ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر : ٧] بالقصر .

ح - مد اللين :

وهو مد الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما ، الساكن ما بعدهما سكوناً عارضاً في حالة الوقف ، ولا يمدُّ في حالة الوصل أبداً ، نحو : خَوْفٌ - يَيْتٌ .

ويمدُّ حركتين أو أربعاً أو ستاً ، كالمُدِّ العارض للسكون .

٣ - أحكام الميم الساكنة :

الميم الساكنة : سواء وقعت في الفعل أو في الاسم أو في الحرف ، متوسطة أو متطرفة .

وأحكامها ثلاثة : إدغام شفوي ، وإخفاء شفوي ، وإظهار شفوي .

- الإدغام الشفوي :

أن تُدْغَمَ بِعُنَّةٍ مع الميم بعدها ، نحو : ﴿ كَمْ مِنْ ﴾ ﴿ لَكُمْ مَا ﴾ كَسَبْتُمْ ﴾ ﴿ أَمْ مِنْ ﴾ .

- الإخفاء الشفوي :

أن تُخْفَى بِعُنَّةٍ مع الباء ، نحو : ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ ﴾ ﴿ يَعْتَصِمُ ﴾ بِاللَّهِ ﴾ ﴿ كَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ﴾ .

- الإظهار الشفوي :

أن تُظْهَرَ مع غير الميم والباء من حروف الهجاء نحو : ﴿ أَمْ ﴾ ﴿ حَسِبْتُمْ ﴾ ﴿ لَهُمْ فِيهَا ﴾ ﴿ تُمْسُونَ ﴾ .

وأشدّ الإظهار الشفوي عند الواو والفاء ، قال الناظم :
 واحذَرْ لَدَى وَاوٍ وَفَا أَنْ تَحْتَفِي لِقُرْبِهَا وَالِاتِّحَادِ فَاعْرِفْ
 ٤ - حكم النون والميم المشدّتين :

حكمتها العنة حيثما وقعتا ؛ سواءً في فعل أو في اسم أو في حرف ،
 في وسط الكلمة ، أو في آخرها .
 ومقدار العنة حركتان :
 وأمثله :

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾
 ﴿ فَأَمَّا مَنْ بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءً ﴾
 ﴿ إِنَّا لَمَّا طَعْنُ الْمَاءُ ﴾
 ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾

٥ - اللام المعرّفة :

لها أربعة أحكام : التفخيم ، والترقيق ، والإظهار ، والإدغام .

- التفخيم :

لا تُفخَّم اللام إلا في اسم الجلالة ، وذلك في حالتين :

إن ضمَّ ما قبلها ، نحو : ﴿ يَقُولُ اللَّهُ ﴾ ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾
 أو فتح ما قبلها ، نحو : ﴿ سَيُوتِينَا اللَّهُ ﴾ ﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾

- الترقيق :

ويكون في اسم الجلالة أيضاً ، وذلك إن كُسِر ما قبل اللام ، نحو :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ ﴾ .

– الإظهار :

تظهر اللام في « أل » إذا وقع بعدها حرف غير مُشَدَّد ، وتُسَمَّى قمرية . وهذه الحروف مجموعة في : (ابغ حجك وخف عقيمه) ، وهي أربعة عشر حرفاً .

ومثال ذلك : ﴿ الْقَمَر ﴾ ﴿ الْعَلِيم ﴾ ﴿ الْحَبِير ﴾ ﴿ الْقَوْل ﴾ .

– الإدغام :

تُدغم اللام إذا وليها حرف مُشَدَّد ، وتُسَمَّى لاما شمسية ، وعلامتها وجود التشديد بعدها .

ومثال ذلك : ﴿ الشَّمْس ﴾ ﴿ النَّار ﴾ ﴿ النَّاس ﴾ ﴿ الضَّالِّين ﴾ .

٦ – أحكام الراء :

لراء أربعة أحكام : التفخيم ، والترقيق ، والرّوم ، والإشمام .

● التفخيم :

ويكون في سبعة مواضع :

– إذا تحرّكت الراء بضمّ ، نحو : ﴿ رُزِقْنَا ﴾ ﴿ عُرِبًا ﴾ ﴿ عِشْرُونَ ﴾ .

– إذا تحرّكت بفتح ، نحو : ﴿ أَتْرَابًا ﴾ ﴿ بَرَبِكُمْ ﴾ ﴿ سِرَاجًا ﴾ .

– إذا وقعت ساكنة بعد ضم ، نحو : ﴿ الْقُرْآن ﴾ ﴿ الْفُرْقَان ﴾ ﴿ أَنْ اشْكُرْ ﴾ .

— إذا وقعت ساكنة بعد فتح ، نحو : ﴿ الْعَرْشُ ﴾ ﴿ الْأَرْضُ ﴾ ﴿ عَلَى قَدَرٍ ﴾ .

— إذا وقعت بعد حرف ساكن سوى الياء وقبل ذلك الحرف الساكن فتح أو ضم ، نحو : ﴿ الْعَصْرُ ﴾ ﴿ لَفِي خُسْرٍ ﴾ ﴿ الْأُمُورُ ﴾ .

— إذا وقعت ساكنة بعد كَسْرٍ عارض ، نحو : ﴿ أُمِّ ارْتَابُوا ﴾ ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ ﴿ ارْجِعِي ﴾ .

— إذا كانت ساكنة بعد كَسْرٍ أصلي ، ولكن وقع بعدها حَرْفٌ من حروف الاستعلاء ، واتَّصل معها في كلمة واحدة ، وورد من ذلك في القرآن خمس كلمات هي :

﴿ قِرطاس ﴾ في الأنعام . ﴿ فِرْقَةٍ ﴾ و ﴿ إِرْصَاداً ﴾ في التوبة .
﴿ مِرْصَاداً ﴾ في النبأ ، ﴿ لِبِالْمِرْصَادِ ﴾ في الفجر .

● الترفيق :

ويكون في خمسة مواضع :

— إذا تحرَّكت الراءُ بكسر ، نحو ﴿ رِجَالٌ ﴾ ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ ﴿ الْعَارِمِينَ ﴾ .

— إذا وقعت ساكنة وكان قبلها كسر أصلي ، نحو : ﴿ فِرْعَوْنَ ﴾ ﴿ أَبْصِرْ ﴾ ﴿ الْفِرْدَوْسِ ﴾ .

— إذا وقعت ساكنة متطرِّفة بعد حرف ساكن سوى الياء ، وقبل هذا الحرف كسر ، نحو : ﴿ الذِّكْرُ ﴾ ﴿ الشَّعْرُ ﴾ ﴿ السَّحْرُ ﴾ .
وهذا لا يكون إلا في حالة الوقف على الراء .

— إذا وقعت ساكنة متطرِّفة بعد ياء ساكنة ، نحو : ﴿ قَدِيرٌ ﴾ ﴿ نَذِيرٌ ﴾ ﴿ نَكِيرٌ ﴾ . وهذا لا يكون إلا في حالة الوقف على الراء .

— إذا كانت ساكنة بعد كَسْرٍ أصلي ، ووقع بعدها حرف استعلاء ،
ولكنه منفصل عنها ، نحو :

﴿ أَنْ أَنْذِرَ قَوْمَكَ ﴾ ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا ﴾ ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ ﴾ .

واختلفوا في ﴿ فِرْقٍ ﴾ في سورة الشعراء ، هل تُرَقِّقُ أم تَفْحَمُ !
وَلِكُلِّ حُجَّةٍ .

● الرَّوْمُ :

ومعناه : النَّطْقُ ببعض الحركة ضمة كانت أو كسرة ، وذلك في
حالة الوقف ، ويكون في سائر الحروف ، فإذا وقفت على الراء . في
مثل : ﴿ إِذَا يَسِرُّ ﴾ أو ﴿ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ جاز أن تُشِيرَ إلى الحركة
بالرَّوم .

● الإِشْمَامُ :

ومعناه : أن تضمَّ شفتيك عند الوقف بالسكون على الحرف
المضموم فقط ، بلا صوت من غير تراخٍ ، نحو : ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾
و ﴿ نَسْتَعِينُ ﴾ .

٧ - القَلْقَلَةُ :

هي إظهار نَبْرَةٍ للصوت حَالِ النَّطْقِ بحرفها إذا سكن .

وحروفها خمسة ، هي : (ق - ط - ب - ج - د) ،
ويجمعها لفظ : قُطْبُ جَدٍ .

وتنقسمُ إلى قسمين :

— صغرى : وهي التي تكونُ في أثناء الكلمة ، نحو :

﴿ يَجْعَلُونَ ﴾ .

– وكبرى : وهي التي تكون في آخر الكلمة ، نحو : ﴿ لَقَدْ ﴾ .
﴿ قَرِيبٌ ﴾ .

٨ – السكتات اللطيفة :

السكْتُ : هو قطع الصوت زمنياً يسيراً من غير أن يتنفس في أربعة مواضع :

١ – في سورة الكهف ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً – فَيِّمًا ﴾ .

٢ – في سورة يس ، في قوله تعالى : ﴿ مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مُرْقَدِنَا – هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ ﴾ .

٣ – في سورة القيامة ، في قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ مِنْ – رَاق ﴾ .

٤ – في سورة المطففين ، في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ – رَانَ ﴾ .

٩ – الوقف :

لا بُدَّ لقارئ القرآن أن يعرف الوقف ، ليكمل التجويد وتلاوة القرآن على أفضل وجه ممكن .

والوقف هو : قطع الصوت عن الكلمة زمنياً يتنفس فيه عادةً بنية استئناف القراءة .

ويجوزُ الوقفُ في أواسط الآي ، وهو على أواخرها أتم في الغالب ، وهو يعتمد تمام الكلام .

وقد جاءت السنة بالوقف على رؤوس الآيات ، فقد سُئِلت أم سلمة – رضي الله عنها – عن قراءة النبي ﷺ فقالت : كان يقطع قراءته ، يقول : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ويقف ، ﴿ الرحمن

الرحيم ﴿ ويقف (١) .

وفي رواية عند أبي داود أنها قالت : كان يقطع قراءته آية آية .
والوقوف أربعة أقسام : تام ، وكاف ، وحسن ، وقبيح .

أ - التام :

وهو مالا يتعلّق ما قبله بما بعده لا في اللفظ ولا في المعنى ، نحو :
﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًىٰ مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

فالوقف على ﴿ المفلحون ﴾ تام .

ومثله في الفاتحة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

فالوقف على ﴿ الدين ﴾ وعلى ﴿ نستعين ﴾ كلاهما وقف تام .

ب - الكافي :

وهو مالا يتعلّق ما قبله بما بعده في اللفظ ، وكل منهما جملة مفيدة
بنفسه ؛ وإن كان هناك تعلق في المعنى العام وسياق الموضوع ، نحو :
﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْذِبُونَ ﴾ .

فالوقف على ﴿ مرضاً ﴾ كافٍ .

ج - الحسن :

وهو ما أتصل ما قبله بما بعده في اللفظ وفي سياق الموضوع ، ولكن

(١) رواه الترمذي .

الجملة الأولى مفيدة بنفسها ، والجملة الثانية غير مفيدة بنفسها ، ولا تتم إلا بالجملة الأولى لوجود الرابط اللفظي ، نحو : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

فالوقف على ﴿ الحمد لله ﴾ حسن ، لأنها جملة مفيدة ، إلا أن الابتداء بما بعد الوقف لا يحسن ، لأنه لا يتم إلا بالجملة الأولى لوجود الرابط اللفظي وهو كون ﴿ رب ﴾ صفة والموصوف ﴿ الله ﴾ فلا يمكن الفصل بين الصفة والموصوف .

د - القبيح :

وهو ما تعلّق ما قبله بما بعده في اللفظ والمعنى ، واشتدّ تعلّقه بحيث أنّ كلاً من الجملتين لا تشكّل بنفسها جملة مفيدة . وأشدّه قُبْحاً ما أحدث خللاً في المعنى وأوهم معنى فاسداً .

ومثال ذلك قوله : ﴿ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ ﴾ و ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ ﴾ .

وللوقوف رموز :

- (م) رمز للوقف اللازم .
- (ط) رمز للوقف المطلق .
- (ج) رمز للوقف الجائز .
- (ز) رمز للوقف المجوّز لوجه .
- (ص) رمز للوقف المرخّص لضرورة النفس .
- (لا) رمز للوضع الذي لا يصلح للوقف أو الابتداء .
- (:) رمز لوقف المراقبة أو المعانقة .



الفصل الرابع

تكبير المعاني وتفسير القرآن

تدبر المعاني وتفسير القرآن

● معنى تدبر المعاني :

أمر الله تعالى بتدبر القرآن ، ونهى عن الإعراض عنه ، وعن إغفال تفهيم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة ، وأخبر سبحانه أنه لا اختلاف فيه ، ولا اضطراب ، ولا تعارض ، لأنه تنزيل من حكيم حميد ، فهو حق من حق ، ولهذا قال عز وجل :

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤] .

ثم قال تعالى :

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
اِخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] .

قال ابن كثير في (تفسيره) . أي لو كان مفتعلاً مختلفاً كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم لوجدوا فيه اختلافاً ، أي اضطراباً وتضاداً كثيراً ، أي : وهذا سالم من الاختلاف فهو من عند الله كما قال تعالى مُخْبِراً عن الراسخين في العلم حيث قالوا : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران : ٧] أي محكمه ومتشابهه حق ، فلهذا ردوا المتشابه إلى المحكم فاهتدوا ، والذين في قلوبهم زيغ ردوا المحكم إلى المتشابه فغووا ، ولهذا مدح تعالى الراسخين وذم الزائغين .

وقد أوجب تعالى التدبُّر والتفكُّر وإمعان النظر ، لفهم المعاني الواردة في نصِّ القرآن الكريم ، وعاب على المنافقين إعراضهم عن التدبُّر في القرآن والتفكُّر فيه وفي معانيه ، فكان نزولُ القرآن لمعرفة معانيه ، واتباع أحكامه ، وتذكُّر لأصحاب العقول .

قال تعالى :

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص : ٢٩] .

وعلم معاني القرآن ينصبُّ على تفسيره ، وشرح آياته ، وبيان مقاصد عباراته ، وهذا يحتاجُ إلى فكرٍ ثاقبٍ ونظرٍ صائبٍ ، لإظهار المراد ، وتبيين المقصود .

قال ابنُ فارس : معاني العبارات التي يُعبَّر بها عن الأشياء ترجع إلى ثلاثة :

المعنى

والتفسير

والتأويل

وهي وإن اختلفت فالمقاصد بها متقاربة^(١) .

أما المعنى : فهو القصد والمراد ، وهو مشتقٌّ من الإظهار ، وقد عني العلماء بمعاني القرآن ؛ فألفوا كتباً كثيرةً منها « معاني القرآن » للأخفش ، وآخر للزجاج ، وثالث للفراء ...
وهذه الكتب تُعنى بشرح ما يُشكل في القرآن ، ويحتاج إلى بعض

(١) (البرهان للزركشي ٢ / ١٤٦) .

العناء في فهمه بالاستعانة بالشواهد القرآنية ، والقراءات ، والشواهد الشعرية ، وأقوال العرب ، ولغاتهم ، وآراء العلماء ، وقياس ما لم يُسمع على الذي سُمِعَ ، وتحريّ الصّحّة في ذلك .

والقرآن الكريم : « نزل بألفاظ العرب ومعانيها ، ومذاهبها في الإيجاز والاختصار ، والإطالة والتوكيد ، والإشارة إلى الشيء ، وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلا اللَّقْنُ - سريع الفهم - ، وإظهار بعضها ، وضرب الأمثال لما خفي ، ولو كان القرآن كلّ ظاهرًا مكشوفًا حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل ؛ لَبَطَّلَ التفاضلُ بين الناس ، وسقطت المحنة ، وماتت الخواطر » (١) .

أما التفسير : فهو كَشَفُ معاني القرآن ، وبيان المراد منها ، فهو أكثر من تحصيل معاني المفردات ، والمعنى الظاهر ، فالتفسير أكثره في التراكيب والجمل ، لأنّه كَشَفُ ما انغلق من المعنى ، فيعتبر فيه الاتباع والسماع .

وفي الاصطلاح : هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها ، والإشارات النازلة فيها ، ثم ترتيب مكّيّها ومدنيّها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصها وعامّها ، ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفسرّها ، وعلم حلالها وحرامها ، ووعدّها ووعيدها ، وأمرها ونهيها ، وعبرها وأمثالها .

ويحتاج المفسر إلى الفهم والتبحر في العلوم ، والتفكر في المعاني . قال ابن مسعود : من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن (٢) .

(١) (تأويل مشكل القرآن ص ٨٦) .

(٢) قال ابن الأثير في (النهاية) : أي لِيُنْقَرَّ عنه ويُفَكَّرَ في معانيه وتفسيره وقراءته .

وللتفسير ظاهر وباطن ، فظاهره كشف معنى الألفاظ في اللغة ،
وتُعرف بالرجوع إلى كُتُب غريب القرآن ومجازه ومعانيه ، كمجاز
القرآن لأبي عبيدة ، وغريب القرآن لابن قتيبة وآخر لعبد الله بن يحيى
اليزيدي ، والمفردات للراغب الأصفهاني .

أمَّا باطنُ التفسير فهو فهم حقائق المعاني ، ومثال ذلك قوله تعالى :
﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال : ١٧] ، فظاهرُ
تفسيره واضح ، وحقيقة معناه غامضة ، فإنه إثبات للرمي ، ونفي له ،
وهما متضادان في الظاهر ، ما لم يفهم أنه رمى من وجه ، ولم يرم من
وجه ، ومن الوجه الذي لم يرم ما رماه الله عز وجل .

قال ثعلب : المعنى : وما رميتَ الفزع والرعب في قلوبهم إذ رميتَ
بالحصباء فانهمزوا ، ولكنَّ الله رمى ، أي أعانك وأظفرك (١) .

وفهمُ هذا المعنى يُعلم بوجه الارتباط بين الأفعال الإنسانية والقدرة
الربانية ، وبذا ينكشف المعنى ، وتتضح الحقيقة المرادة .

أما التأويل : يُقصد بالتأويل إبداء احتمالٍ في اللفظ مقصود بدليل
خارج عنه ، فالتأويل : بيان المعنى ، والتفسير : بيان اللفظ .

وقيل : التأويل : صرَّف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها ،
تحتمله الآية ، غير مُخالفٍ للكتاب والسنة من طريق الاستنباط .

قالوا : وهذا غير محظورٍ على العلماء بالتفسير ، وقد رخص فيه أهل
العلم ، وذلك مثل قوله تعالى :

﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ [التوبة : ٤١] .

(١) تفسير القرطبي (٧ / ٣٨٥) .

ففي تأويل هذه الآية أحد عشر قولاً ، منها :

- ١ - نشاطاً وغير نشاط .
- ٢ - أغنياء وفقراء .
- ٣ - شباباً وشيوخاً .
- ٤ - عزّاباً ومتأهلين .
- ٥ - مرضى وأصحاء .
- ٦ - رجالاً وفساناً .

وغير ذلك ، والآية محمولة على هذه المعاني كلّها ، فالناس قد أمروا جملةً ، أي انفروا خفت عليكم الحركة أو ثقلت .

وعلى هذا يكون التأويل تفسيراً للكلام وبيان معناه ، سواء أوافق ظاهره أو خالفه ، وهنا يلتقي مع التفسير ، وهذا ما يعنيه ابن جرير بقوله في تفسيره : القول في تأويل قوله : كذا وكذا ... فمراده من هذا التفسير .

ويمكن أن يكون التأويل إلى نفس المراد بالكلام ، أي في الأمور الموجودة في الخارج نفسها ، سواء أكانت ماضية أم مستقبلية ، فإذا قيل : طلعت الشمس ، فتأويل هذا هو نفس طلوعها ، وهذا في نظر ابن تيمية هو لغة القرآن التي نزل بها^(١) .

● مصادر التفسير ومنابعه :

لتفسير القرآن الكريم مصادر عدّة هي :

١ - النقل عن رسول الله ﷺ :

بين النبي ﷺ عن الله تعالى مراده مما أجمله في كتابه من أحكام

(١) التفسير والمفسرون للذهبي (١ / ١٧) .

الصلاة والزكاة ، وغير ذلك مما لم يفصله ، بدليل قوله تعالى :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾

[النحل : ٤٤] .

وقال صلى الله عليه :

« أَلَا إِنِّي أُوتِيْتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شِبَعَانُ عَلَى أَرِيكْتِهِ يَقُولُ : عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ ؛ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَجِلُّوه ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمَ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبْعِ ، وَلَا لُقْطَةٌ مُعَاهَدٌ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِي عَنْهَا صَاحِبُهَا ، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعَقِّبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهِ » (١) .

قال الخطابي : قوله : « أُوتِيْتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ » يحتمل وجهين من التأويل :

أحدهما : أن يكون معناه أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو ؛ مثل ما أعطي من الظاهر المتلو .

والثاني : أنه أوتي الكتاب وحيًا يُتلى ، وأوتي من البيان مثله ، أي أُذِنَ لَهُ أَنْ يُبَيِّنَ مَا فِي الْكِتَابِ ، فَيَعَمُّ وَيَخْصُّ ، وَيَزِيدُ عَلَيْهِ ، وَيُشَرِّعُ مَا لَيْسَ لَهُ فِي الْكِتَابِ ذِكْرٌ ، فَيَكُونُ فِي وَجُوبِ الْعَمَلِ بِهِ وَلِزُومِ قَبُولِهِ كَالظَّاهِرِ الْمَتْلُوعِ مِنَ الْقُرْآنِ .

وقوله : « يُوشِكُ رَجُلٌ شِبَعَانُ » : يُحذِّرُ بِهَذَا الْقَوْلِ مِنْ مَخَالَفَةِ السُّنَنِ الَّتِي سَنَّهَا مِمَّا لَيْسَ لَهُ فِي الْقُرْآنِ ذِكْرٌ ، عَلَى مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ

(١) رواه أبو داود .

الخوارج والروافض ؛ فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السُّننَ التي
ضُمَّتَ بياناً للكتاب ، فتحيروا وضلُّوا .

ومن تفسير النبي ﷺ ما رواه عبد الله بن مسعود قال : لَمَّا
نزلت : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾
[الأنعام : ٨٢] شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، وقالوا :
أينما لا يظلم نفسه ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « ليس هو كما تظنون ، إنما
هُوَ كما قال لقمانُ لابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ
عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] ^(١) .

ومن ذلك أيضاً تفسيره ﷺ القوة بالرمي ، فعن عقبة بن عامر
قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو على المنبر يقول : « ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ
مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِي ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِي ، أَلَا إِنَّ
الْقُوَّةَ الرَّمِي » ^(٢) .

٢ - الأخذ بقول الصحابي :

يُعتبر تفسير الصحابي بمنزلة المرفوع ، لأنه من باب الرواية لا
الرأي .

قال عبد الله بن مسعود : والذي لا إله إلا هو ، ما نزلت آية في
كتاب الله إلا وأنا أعلمُ فيمن أنزلت ، وأين نزلت ؛ ولو أعلمُ مكانَ
أحدٍ أعلمُ بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته .

وقال أيضاً : كان الرجلُ مِنَّا يتعلَّمُ عشرَ آياتٍ لم يتجاوزهنَّ حتى

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه مسلم .

يَعْلَمَ معانيهنَّ ، والعمل بهنَّ^(١) .

وقال أبو عبد الرحمن السُّلَمي : حدثنا الذين كانوا يُقرئونا القرآنَ ، كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما : أنهم كانوا إذا تعلَّموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتَّى يتعلَّموا ما فيها من العلم والعمل ؛ قالوا : فتعلَّمنا القرآنَ والعلم والعمل جميعاً . ولهذا كانوا يبقون مدَّة في حفظ السورة^(٢) .

وأقام عبد الله بن عمر على سورة البقرة ثمانين سنين يتعلَّمها^(٣) .

ذلك أن الله تعالى قال :

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ [ص : ٢٩] .

وتدبَّر الكلام دون فهم معانيه لا يمكن^(٤) .

وكان الصحابة يتفاوتون في القدرة على فهم القرآن ؛ وبيان معانيه المرادة منه ، وذلك راجع إلى تفاوتهم في العلم بلغتهم ، فمنهم من كان واسع الاطلاع فيها ، مُلمِّماً بغريبها ، ومنهم دون ذلك ، ومنهم من كان يُلازم النبي ﷺ فيعرف من أسباب النزول ما لا يعرفه غيره ، أضف إلى هذا وذاك أنَّ الصحابة لم يكونوا في درجتهم العلمية ومواهبهم العقلية سواء ، بل كانوا مختلفين في ذلك اختلافاً عظيماً^(٥) .

ويأتي ابنُ عباسٍ علماً بارزاً بين الصحابة في تفسير القرآن ، وقد

(١) رواه ابن جرير .

(٢) رواه ابن جرير .

(٣) رواه مالك في الموطأ .

(٤) مقدمة في أصول التفسير ، لابن تيمية ص (٣٦) .

(٥) التفسير والمفسرون (١ / ٣٥ - ٣٦) .

دعا له رسول الله ﷺ فقال : « اللهم فقَّهه في الدين ، وعَلِّمه التأويل » (١) .

وقال فيه عبد الله بن مسعود : نِعَمَ ترجمان القرآن ابن عباس (٢) .
وقد اجتهد الصحابة في تفسير القرآن مستندين في ذلك إلى معرفة أوضاع اللغة وأسرارها ، وعادات العرب ، وأحوال اليهود والنصارى في الجزيرة العربية وقت نزول القرآن ، وقوة الفهم وسعة الإدراك (٣) .
وهذا الفهم والإدراك هو ما عبَّر عنه علي بن أبي طالب حينما سأله أبو جَحِيْفَة : هل عندكم شيءٌ من الوحي إلا ما في كتاب الله ؟ قال : لا ، والذي فلق الحبة وَبَرَأَ التَّسْمَةَ ، ما أعلمه إلا فهماً يُعطيه الله رجلاً في القرآن ، وما في هذه الصحيفة ، قال أبو جَحِيْفَة : وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العَقْلُ ، وفكَّاكُ الأسير ، وأنَّ لا يُقتل مُسْلِمٌ بكافر (٤) .

٣ - أقوال التابعين :

المقصود بالتابعين أولئك الذين تلقوا التفسير عن الصحابة ، وتلقوا عنهم أيضاً علم السنة ، وإن كانوا أحياناً يتكلمون بالاستنباط والاستدلال . فكان اعتماد التابعين في فهمهم لكتاب الله عز وجل على ما جاء في الكتاب نفسه ، وعلى ما تلقوه عن الصحابة الكرام ، وعلى ما أخذوه من أهل الكتاب ، وعلى اجتهادهم وتفسيرهم .

(١) رواه الحاكم وأبو نعيم .

(٢) الإصابة (٢ / ٣٣٢) .

(٣) التفسير والمفسرون (١ / ٥٨) .

(٤) رواه البخاري .

« الفكاك » : التخليص .

وقد كانت مدرسة ابن عباس في التفسير بمكة ، فكان يجلس لأصحابه من التابعين ، يُفسّر لهم كتاب الله تعالى ، ويوضح لهم ما خفي من معانيه ، وكان تلاميذه يعنون عنه ما يقول ، ويروون لمن بعدهم ما سمعوه منه^(١) .

وكان لمكة دور رائد في التفسير ، بسبب مركزها الديني والعلمي ، وكثرة من يأتها من الناس ، لذا نجد ابن تيمية يقول :

« وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة ، لأنهم أصحاب ابن عباس : كمجاهد (ت ١٠٤ هـ) ، وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٤ هـ) ، وغيرهم من أصحاب ابن عباس : كطاووس (ت ١٠٦ هـ) ، وأبي الشعثاء (ت ٩٣ هـ) ، وسعيد بن جبير (ت ٩٥ هـ) ، وأمثالهم .

وكذلك أهل الكوفة من أصحاب عبد الله بن مسعود ، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل : زيد بن أسلم (ت ١٣٦ هـ) الذي أخذ عنه مالك التفسير ، وأخذه عنه أيضاً ابنه عبد الرحمن (ت ١٨٢ هـ) ، وعبد الله بن وهب (ت ١٩٧ هـ) »^(٢) .

وذهب أكثر المفسرين إلى أنه يُؤخذ بقول التابعي في التفسير ؛ لأن التابعين تلقوا غالب تفسيراتهم عن الصحابة ؛ فمجاهد مثلاً يقول : عرضتُ المصحفَ على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية منه ، وأسأله عنها^(٣) . وقتادة يقول : ما في القرآن آية

(١) حبر الأمة عبد الله بن عباس ، د . سلقيني ص (١٠٦) .

(٢) مقدمة في التفسير ص (٦١) .

(٣) رواه الطبري .

إلا وقد سمعتُ فيها شيئاً^(١) ، ولذا حكى أكثرُ المفسِّرين أقوالَ التابعين في كتبهم ، ونقلوها عنهم مع اعتمادهم لها^(٢) .

● أقسام التفسير :

عن ابن عباس قال : التفسير على أربعة أوجه :

وجه تعرفه العربُ من كلامها .

وتفسير لا يُعَدَّر أحدٌ بجهالته .

وتفسير يعلمه العلماء .

وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ، فمن ادَّعى علمه فهو كاذب^(٣) .

قال الزركشي :

فأما الذي تعرفه العرب ، فهو الذي يرجع إلى لسانهم ، وذلك

شأن اللغة والإعراب .

فأما اللغة فعلى المفسِّر معرفة معانيها ، ومسمِّيات أسمائها ، ولا يلزم

ذلك القارىء . ثم إن كان ما تتضمنه ألفاظها يُوجبُ العمل دون العلم ؛

كفى فيه خبر الواحد والاثنين والاستشهاد بالبيت والبيتين ؛ وإن كان

مما يُوجب العلم لم يكفِ ذلك ، بل لا بُدَّ أن يستفيضَ ذلك اللفظ ،

وتكثر شواهد من الشعر .

وأما الإعراب ؛ فما كان اختلافه مُجِلاً للمعنى وجب على المفسِّر

والقارىء تعلُّمه ليتوصَّل المفسِّر إلى معرفة الحكم ، وليسلم القارىء

(١) رواه الترمذي .

(٢) التفسير والمفسِّرون (١ / ١٢٨) .

(٣) رواه ابن جرير ، وعبد الرزاق في تفسيره ، وذكره ابن تيمية في (مقدمة في

التفسير ص ١١٥) ، والزركشي في (البرهان ٢ / ١٦٤) .

من اللحن ، وإن لم يكن مُحِيلاً للمعنى وجب تعلّمه على القارىء
ليسلم من اللحن ، ولا يجب على المفسّر ليتوصّل إلى المقصود دونه ؛
على أن جهله نقص في حق الجميع .

وعلى هذا فليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من
الكتاب العزيز ، ولا يكفي في حقه تعلّم اليسير منها .

الثاني : ما لا يعذر أحدٌ بجهله ؛ وهو ما تتبادر الأفهام إلى معرفة
معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد ؛ وكلُّ
لفظ أفاد معنى واحداً جلياً لا سواه يعلم أنه مراد الله تعالى .

فهذا القسم لا يختلف حكمه ، ولا يلتبس تأويله ، إذ كلُّ أحدٍ
يُدرِك معنى التوحيد من قوله تعالى : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾
[محمد : ١٩] ، وأنه لا شريك له في إلهيته ، وإن لم يعلم أن « لا »
موضوعة في اللغة للنفي ، و « إلا » للإثبات ؛ وأن مقتضى هذه الكلمة
الحصر .

الثالث : ما يعلمه العلماء خاصة ؛ وهو الذي يغلب عليه إطلاق
التأويل ؛ وهو صرّف اللفظ إلى ما يؤول إليه ، فالمفسّر ناقل ، والمؤول
مستنبط ، وذلك استنباط الأحكام ، وبيان المجمل ، وتخصيص
العموم .

وكلُّ لفظٍ احتمل معنيين فصاعداً فهو الذي لا يجوز لغير العلماء
الاجتهاد فيه ، وعلى العلماء اعتماد الشواهد والدلائل ، وليس لهم أن
يعتمدوا مُجرّد رأيهم فيه .

الرابع : ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، فهو ما يجري مجرى الغيوب ؛
نحو الآي المتضمنة قيام الساعة ، ونزول الغيث ، وما في الأرحام ،

وتفسير الروح ، والحروف المقطّعة .

وكُلّ متشابه في القرآن عند أهل الحق ؛ فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره ، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف من أحد ثلاثة أوجه :

إمّا نصّ من التنزيل ،

أو بيان من النبي ﷺ ،

أو إجماع الأمة على تأويله ؛

فإذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات عَلِمْنَا أَنَّهُ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعَلْمِهِ .

وعلى هذا ينزل قوله ﷺ :

« من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار »^(١) على

قسمين من هذه الأربعة :

أحدهما : تفسير اللفظ لاحتياج المفسّر له إلى التبحّر في معرفة لسان

العرب .

الثاني : حَمَل اللفظ على أحد معنيّيه ، لاحتياج ذلك إلى معرفة

أنواع من العلوم : علم العربية واللغة ، والأصول ، وصيغ الأمر ، والمحكم والمتشابه والمؤوّل ، والحقيقة والمجاز وغير ذلك .

ويحتاج كُُلّ ما تقدّم من علم التفسير إلى التدبّر والتفكّر ، فهو أصل

الوقوف على معاني القرآن ، ولا يحصل فَهْمُ معاني الوحي حقيقةً ، ولا تظهر أسرار العلم ، لمن كان في قلبه بدعة ، أو إصرار على الذنب ، أو في

(١) رواه الترمذي وصححه ، وفي إسناده عبد الأعلى بن عامر : ضعيف (ميزان

الاعتدال ٢ / ٥٣٠) ، ورواه أيضاً أبو داود والنسائي .

قلبه كِبَرٌ أو هوى ، أو حبّ الدنيا ، أو يكون غير متحقّق الإيمان ، أو ضعيف التحقيق ، أو معتمداً على قول مفسّر ليس عنده إلا علم بظاهر ، أو يكون راجعاً إلى معقوله ، وهذه كلّها حُجُبٌ وموانع .

وإذا كان العبدُ مُصغياً إلى كلام ربّه ، ملقياً السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه ، ناظراً إلى قدرته ، تاركاً للمعهود من علمه ومعقوله ، مُتبرئاً من حَوَلة وقوّه ، مُعظماً للمتكلم ، مفتقراً إلى التفهّم ، بحالٍ مستقيم ، وقلبٍ سليم ، وقوة علم ، وتمكّن سَمْعٍ لفهم الخطاب ... فهذا القارىءُ أحسنُ الناس صوتاً بالقرآن ، وفي مثل هذا قال الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾
[البقرة : ١٢١] ^(١) .

● ألوان من التفسير :

١ - التفسير بالمأثور :

يشمل هذا التفسير ما جاء في القرآن نفسه في موضعٍ آخر ورد فيه معنى الآية أكثر تفصيلاً ، وما ورد عن الرسول ﷺ ، وما نُقِلَ عن الصحابة والعدول من التابعين ممّا يتّصل بشرح الآية ، وتوضيح مراد الله تعالى من نصوص القرآن ، وذكر أسباب النزول ، وفيمن أنزلت .
أما تفسيرُ القرآن بالقرآن فهو أشرفُ أنواع التفسير وأعلاه وأجلّه ، ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة : ٤] ، وقد

(١) (البرهان ٢ / ١٦٤ - ١٨١) .

فُسِّرَتْ كَلِمَةٌ ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار : ١٧ - ١٩] .

وقوله تعالى : ﴿فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة : ٣٧] ، وَفُسِّرَتْ لَفْظَةٌ ﴿كَلِمَاتٍ﴾ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ [الزخرف : ١٧] قد بيَّنه تعالى في قوله : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَى﴾ [النحل : ٥٨] .

وأما تفسير النبي ﷺ للقرآن فمبثوث في ثنايا كتب الحديث النبوي ، و « يجب أن يُعْلَمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَ لِأَصْحَابِهِ مَعَانِي الْقُرْآنِ ، كَمَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْفَاطَهُ ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل : ٤٤] يتناول هذا وهذا »^(١) .

ومن تفسير النبي ﷺ ؛ تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

فعن عدِّي بن حاتم قال : قلتُ : يا رسول الله ! ما الخيطُ الأبيض من الخيطِ الأسود ، أهما خيطان ؟ قال : « إنك لَعَرِيضُ الْقَفَا إِنْ أَبْصَرْتَ الْخَيْطَيْنِ » ثم قال : « لا ، بل هو سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ »^(٢) .

(١) مقدمة في أصول التفسير ص (٣٥) .

(٢) رواه البخاري .

ومن تفسيره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَظِلٌّ مَمْدُودٌ ﴾ [الواقعة : ٣٠] .

فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً يَسِيرُ الرَّابِطُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا ، وَاقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ : ﴿ وَظِلٌّ مَمْدُودٌ ﴾ »^(١) .

وأما تفسير الصحابة فكثير جداً . ولنتطفأ أمثلة منه :

في قوله تعالى : ﴿ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ ﴾ [المائدة : ٩٠] قال ابنُ عباس : الأزلام : القِداح يفتسمون بها في الأمور . والتَّصَب : أنصاب يذبحون عليها^(٢) .

وفي قوله تعالى : ﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٢] قال ابنُ عباس : حور : سودُ الحدق^(٣) .

وأما تفسير التابعين فكثير أيضاً ، ومثالنا على هذا :

في قوله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ ﴾ [المائدة : ١٠٣] قال سعيد بن المسيب : البحيرة : التي يُمنعُ دَرُّها للطواغيت فلا يجلها أحدٌ من الناس . والسائبة : كانوا يُسيئونها لآلهتهم ، التي لا يُحمل عليها شيء^(٤) .

ولكن هل يمكن اعتبار تفسير الصحابة والتابعين من المأثور ؟

لقد اختلف العلماء في هذه المسألة ، غير أن معظم كتب التفسير

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه البخاري .

(٤) رواه البخاري .

بالمأثور تُورد منه الكثير ، ولكن يمكن القول :

إن ما جاء عن الصحابة والتابعين العدول فيما ليس من باب الاجتهاد والاستنباط ، وإنما هو متوقف على السماع من النبي ﷺ يُعتبر من التفسير بالمأثور ، وهو مُلزم إن صحَّ سنده .

وأما الأقوال المنقولة عنهم ممَّا يتَّصل بالاجتهاد والاستنباط فليست من التفسير بالمأثور .

وأشهرُ تفسير بالمأثور هو « جامع البيان في تفسير القرآن » لابن جرير الطبري ، أحد الأئمة الأعلام (ت ٣١٠ هـ) .

ويُعتبر هذا التفسير أقدم كتاب في التفسير وصل إلينا ، ومن ناحية الفن والصناعة يُعتبر العمدة في فنه ومجاله وترتيبه .

ويمتاز أيضاً بالمنهجية التي اتبعها المؤلف من أول الكتاب إلى آخره ، فهو يضع عنواناً للآية كما يلي :

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ... ، ثم يُفسر الآية ، ويُبيِّن المراد منها ، وصلتها بالآية قبلها ، ويذكر ما ورد في معناها من القرآن ، ويستشهد أيضاً بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين من التفسير المأثور عنهم في هذه الآية .

ولا يقتصر على مجرد الرواية ، بل يُوجِّه الأقوال ، ويرجِّح بينها ، ويختار واحداً منها يعتمده ، وهو واضح الشخصية في تفسيره ، ممَّا أضفى على التفسير قيمة عظيمة ، جعلته مصدراً للتأليف فيما بعده .

٢ - التفسير بالرأي :

يُطلق الرأي على الاعتقاد ، والاجتهاد ، والقياس . والمراد بالرأي

هنا الاجتهاد ، فهذا النوع من التفسير عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد ؛ بعد توافر شروط المفسر وهي حيازته على العلوم التي يحتاجها ، وهي : علم اللغة ، والنحو ، والصرف ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ، والقراءات ، وأصول الدين ، والفقه ، وأسباب النزول ، والقصص ، والناسخ والمنسوخ ، والأحاديث المبيّنة لتفسير المجمل والمبهم ، والموهبة .

وقد اختلف العلماء في قيمة هذا التفسير ، فمنهم من ذهب إلى حظره وتحريمه ، ومنهم من أجازته ؛ لأنه يستخدم العقل في فهم كتاب الله العظيم ، وهذه دعوة في القرآن والسنة ، وأن الصحابة تورّعوا عن التفسير بالرأي ، ولكن هذا لا يمنع من تأويل القرآن وفق الاجتهاد ، معضوداً بالبرهان والدليل .

ثم إن مُنِعَ الاجتهادُ تعطلَّ كثيرٌ من الأحكام ، وهذا لا يجوز ، والمجتهد ما جور سواء أصاب أم أخطأ .

والرأي قسمان : قسم جارٍ على موافقة كلام العرب ومناحيهم في القول ، مع موافقة الكتاب والسنة ، ومراعاة سائر شروط التفسير ، وهذا جائز .

وقسم غير جارٍ على قوانين العربية ، ولا موافق للأدلة الشرعية ، وهذا هو محطّ الذمّ^(١) .

وأهم تفسير أخذ بالرأي هو « مفاتيح الغيب » للرازي و « أنوار التنزيل » للبيضاوي ، و « مدارك التنزيل » للنسفي .



(١) التفسير والمفسرون (١ / ٢٦٤) .

الفصل الخامس

تعاهد القرآن

تعاهد القرآن

● سهولة حفظ القرآن :

تفضّل الله تعالى على الناس حين سهّل عليهم حفظ القرآن الكريم ،
إذ هيّأه للذكر ، وأعان من أراد حفظه ، فقال عزّ وجلّ :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾

[القمر : ١٧] .

وقال تعالى :

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾

[مريم : ٩٧] .

قال مجاهد : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ ﴾ يعني هوّنا قراءته . وقال

السدي : يسّرنا تلاوته على الألسن . وقال الضحاك عن ابن عباس :
لولا أنّ الله يسّره على لسان آدميين ما استطاع أحدٌ من الخلق أن يتكلّم
بكلام الله عز وجل .

وقال سعيد بن جبیر : ليس من كُتِبَ الله كتاب يقرأ كلّ ظاهراً إلا

القرآن .

قال القرطبي : يسّر الله تعالى على هذه الأمة حفظ كتابه ليذكروا

ما فيه ، أي يفتعلوا الذكر ، والافتعال هو : أن ينجعَ فيهم ذلك حتّى
يصير كالذات وكالتركيب فيهم .

وقال ابن كثير : ومن تيسيره تعالى على الناس تلاوة القرآن ما قاله
النبي ﷺ :

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ » (١) .

أي على سبعة أوجه ، يجوز أن يُقرأ بكل وجه منها . وليس المراد حقيقة العدد ؛ بل المراد التسهيل والتيسير ، ورد السيوطي على هذا القول في (الإتيان) ردّاً قوياً مؤيداً بالنصوص :

وهذه الأحرف السبعة هي لغات متفرقة ، لكنها متواترة عن رسول الله ﷺ في القراءة ، فإن سأل سائل فقال : ما الذي تفيد قراءة القرآن على أكثر من حرف لمن قرأ على أكثر من حرف ؟

فالجواب : أن الله عز وجل لم يجعل على عباده حرجاً في دينهم ، ولا ضيق عليهم فيما افترض عليهم ، وكانت لغات من أنزل عليهم القرآن مختلفة ، ولسان كل صاحب لغة لا يقدر على رده إلى لغة أخرى إلا بعد تكلف ومؤونة شديدة ، فيسر الله عليهم أن أنزل كتابه على سبع لغات متفرقات في القرآن بمعانٍ متفقة ومختلفة ، ليقرأ كل قوم على لغتهم ، وعلى ما يسهل عليهم من لغة غيرهم ، وعلى ما جرت به عادتهم .

فقومٌ جرت عادتهم بالهمز ، وقوم بالتخفيف ، وقوم بالفتح ، وقوم بالإمالة . وكذلك الإعراب واختلافه في لغاتهم ، والحركات واختلافها في لغاتهم ، وغير ذلك ؛ فتفصّح كل قوم ، وقرؤوا طبعهم ولغتهم ولغة من قرب منهم . وكان في ذلك رفقٌ عظيمٌ بهم ، وتيسيرٌ كثيرٌ لهم .

(١) رواه البخاري ومسلم .

ونظيرُ هذا في القرآن ممّا رفق اللهُ به عباده ، ويسرّ عليهم ؛ نزول الفرائض والأحكام ، والأوامر والنواهي لشيءٍ بعد شيءٍ في أكثر من عشرين سنة ، فكانوا لذلك أقبل ، وهو عليهم أسهل ، إذ لو نزل كلّهُ مرّةً واحدةً لصعب عليهم واشتدّ (١) .

ومن هنا نخلصُ إلى أن القرآن الكريم مُيسرٌ لمن رام أن يحفظه ، لذا قال الله تعالى :

﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر : ١٧] .

أي : فهل من متذكّر بهذا القرآن الذي قد يسّر الله حفظه ومعناه ؟
وقيل : هل من طالب علمٍ فيعان عليه ؟
وقال القرطبي : ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ : قارئ يقرؤه .

● الترغيب في استذكار القرآن وتعهده :

المقصود بتعهده القرآن : تجديد العهد به على الدوام وذلك بملازمة تلاوته ، واستذكاره كل حين ، لئلا يتعرّض الحفظ للنسيان ، مع تقادم الزمن .

وقد جاءت السنّة النبويّة تحثُّ المؤمن على مذاكرة القرآن ، وتجديد الصلّة معه ، وتقوية وشائج القربى منه ، ليبقى المؤمن على اتصال بكتاب الله ، فلا يبتعد عنه أبداً .

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال :

« إنما صاحبُ القرآن كمثل صاحب الإبل المعقّلة ، إن عاهدَ عليها

(١) (الإبانة عن معاني القراءات ص ٥٩) .

أمسكها ، وإن أطلقها ذهبَتْ » (١) .

وصاحبُ القرآن : أي من ألف تلاوته نظراً ، أو عن ظهر قلب حفظاً ، فإن من داوم على ذلك ذلَّ له لسانه ، وسهلت عليه قراءته ، فإذا هجره ثقلت عليه القراءة وشقت عليه . فالحفظ يأتي بالتلاوة المستمرة ، والنسيان يحصل بالترك والبعد .

وشبه رسول الله ﷺ دَرَسَ القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يُخشى منه الشَّراد ، فما زال التعاهد موجوداً فالحفظ موجود ، كما أن البعير مادام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ .

وخصَّ الإبل بالذكر لأنها أشدَّ الحيوان الإنسي نفوراً ، وفي تحصيلها بعد استمکان نفورها صعوبة . فإن استمرَّ إمساكه لها حفظها ، وإن أطلقها انفلتت .

وقال ﷺ :

« مثلُ القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقراه بالليل والنهار كمثل رجلٍ له إبلٌ ، فإن عَقَلها حَفِظها ، وإن أَطْلَقَ عَقَلها ذَهَبَتْ ، فكذلك صاحبُ القرآن » (٢) .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال النبي ﷺ :

« بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ : نَسِيتُ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ ، بَلْ نُسِي ، واستذكروا القرآن فإنه أشدُّ تفصيلاً من صُدُورِ الرجال من النَّعَم » (٣) .

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخاري والنسائي والترمذي .

« كيت وكيت » : يُعبّر بهما عن الجمل الكثيرة والحديث الطويل .

« نُسيّ » : قال القرطبي : التثقيب معناه أنه عُوقب بوقوع النسيان عليه لتفريطه في معاهدته واستذكاره .

وسببُ الذمِّ ما فيه من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن ؛ إذ لا يقع النسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة ، فلو تعاهد بتلاوته والقيام به في الصلاة لدام حفظه وتذكره ، فإذا قال الإنسان : نسيْتُ الآية الفلانية فكأنه شهد على نفسه بالتفريط ، فيكون متعلّق الذم ترك الاستذكار والتعاهد ؛ لأنه هو الذي يورث النسيان .

وقد حضّ النبي ﷺ في هذا الحديث على المواظبة على تلاوة القرآن ، وتذكير النفس بضرورة قراءته ، وعدم التقصير في معاهدته واستذكاره ، ذلك أن القرآن يتفلّت من الصدور ، فإذا لم يتعاهد حافظ القرآن ما حفظه تفلّت منه ، كالإبل النافرة التي تطلب التفلّت ما أمكنها من عقابها .

وقال ﷺ :

« تعاهدوا القرآن » (١) .

وفيه حضّ على حفظ القرآن بدوام دراسته وتكرار تلاوته ، لتثيبته في الصدور .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« تعلّموا كتاب الله ، وتعاهدوه ، وتغنّوا به ، فوالذي نفسي بيده

(١) رواه البخاري ومسلم .

لهو أشدُّ تفلتاً من المخاض في العُقْل» (١) .

و « المخاض » : اسم للثوق الحوامل ، واحدها خَلِيفَةٌ .

● التحذير من نسيان القرآن :

إنَّ الإعراض عن تلاوة القرآن ، وعدم الاعتناء به ، تهاونٌ كبير ، وتفريط شديد ، بحق كتاب الله تعالى ، الذي أنزله الله عز وجل ليقرأه الناس ، ويتعاهدوه ، ويعملوا وفق أحكامه . وقد حذَّر النبي ﷺ من التفريط بتلاوة القرآن ، وأنَّ مَنْ نسي منه شيئاً فقد ارتكب إثماً مبيناً .

عن سعد بن عبادَةَ قال : قال رسول الله ﷺ :

« ما من رجلٍ قرأ القرآن فنسيه إلا لقي الله يومَ يلقاه وهو أجذم » (٢) .

قال أبو عبيد : « أجذم » : هو المقطوع اليد (٣) .

وقال أبو محمد بن قتيبة في (إصلاح الغلط) : ليس كل أجذم أقطع اليد ، وإذا نحن حملنا الحديث على ما ذهب إليه رأينا عقوبة الذنب لا تُشاكل الذنب ؛ لأنَّ اليد لا سبب لها في نسيان القرآن ، والعقوبات من الله عز وجل تكون بحسب الذنوب والأجذم هاهنا : المجذوم ، وإنما سُمِّي من به هذا الداء أجذم لأنه يقطع أصابع يديه وينقص خلقه ... وهذا أشبه بالعقوبة ؛ لأنَّ القرآن كان يدفع عن جسمه كلَّه العاهة ، ويحفظ له صحَّته وزينته ، فلمَّا نسيه فارقه ذلك ، فنالته الآفة في جميعه .

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه أحمد .

(٣) غريب الحديث (٤٨ / ٣) .

وقال ابن الأنباري ردّاً على ابن قتيبة :

لو كان العقاب لا يقع إلا بالجراحة التي باشرت المعصية لما عُوقب الزاني بالجلد والرجم في الدنيا ، وبالنار في الآخرة ! ومعنى الحديث أنه لقي الله وهو أجذم الحجّة ، لا لسان له يتكلّم به ، ولا حُجّة في يده .

وقال ابن الأثير : قيل معناه : لقيه منقطع السبب .

وقال الخطابي : معنى الحديث ما ذهب إليه ابن الأعرابي ، وهو أنّ من نسي القرآن لقي الله خالي اليد من الخير ، صفرها من الثواب . فكفّتي باليد عمّا تحويه وتشتمل عليه من الخير .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

« عُرِضَتْ عَلَيَّ أَجْوُرُ أُمَّتِي حَتَّى الْقَدَاةُ وَالْبِعْرَةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي فَلَمْ أَرْ ذَنْباً أَعْظَمَ مِنْ آيَةٍ أَوْ سُورَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ تَيْهَا رَجُلٌ فَنَسِيهَا » (١) .

قال المناوي :

« ثم نسيها » : لأنه إنّما نشأ عن تشاغله عنها بلهو أو فضول ، أو لاستخفافه بها ، وتهاونه بشأنها ، وعدم اكتراثه بأمرها ، فيعظم ذنبه عند الله لاستهانة العبد له بإعراضه عن كلامه .

وقال القرطبي :

من حفظ القرآن أو بعضه فقد علّت رُتبته ، فإذا أخلّ بهاتيكَ المرتبة حتى خرج عنها ؛ ناسب أن يُعاقب ، فإن تَرَكَ تعاهد القرآن يفضي إلى الجهل ، والرجوع إلى الجهل بعد العلم شديد .

(١) رواه أبو داود والترمذي . « الْقَدَاة » : ما يقع في العين من تراب أو وسخ .

وقال : « أوتيتها » ولم يقل حفظها ، لِيُنْبَهَ على أَنَّها كانت نعمةً عظيمةً أولاهها اللهُ إِيَّاه ليقوم بها ، ويشكر مولاها ، فكفرها .

وفيه أن نسيان القرآن كبيرة ، ولو بعضاً منه . وهذا لا يناقضه خبر « رُفِعَ عن أمتي الخطأ والنسيان »^(١) لأنَّ المعدود هنا ذنباً التفريط في محفوظه بعدم تعاهده ودَرْسه .

وقال عبد الله بن مسعود : إني لأمقتُ القارىء أن أراه سميئاً نسيئاً للقرآن^(٢) .

وقال الضحاک بن مزاحم : ما من أحدٍ تعلَّم القرآن ثم نسيه إلا بذنب يُحدِثُهُ ؛ لأنَّ الله تعالى يقول : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ [الشورى : ٣٠] وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن^(٣) !؟

وقال طلق بن حبيب : من تعلَّم القرآن ثم نسيه من غير عذر حطَّ عنه بكلِّ آية درجة ، وجاء يوم القيامة مخصوماً^(٤) .

وقد توعدَّ اللهُ تعالى مَنْ أَعْرَضَ عن ذكره - وذكُر اللهُ هو القرآن - وَمَنْ تعلَّمه ثم نسيه . فقال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا * مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا * خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴾ [طه : ٩٩ - ١٠١] .

(١) رواه الطبراني .

(٢) ذكره أبو عبيد في (فضائل القرآن) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة .

(٤) رواه عبد الرزاق في المصنف .

وقال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ
كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ [طه : ١٢٤
- ١٢٦] .

فليحذر كُلُّ من حفظ شيئاً من القرآن أن ينساه بطول الترك ،
وكثرة البعد ، فعليه أن يتعاهده ، ويذاكره ويجدد العهد معه ، ليظفر
بثواب الله تعالى ، وينال عفوه ورحمته سبحانه وتعالى .



الفصل السادس

تعليم القرآن

تعليم القرآن

رَغِبَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ النَّاسَ لِأَدَاءِ الطَّاعَاتِ ، وَفَعَلَ الْخَيْرَاتِ ،
وَالِاسْتِقَامَةَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، وَالْمُبَادَرَةَ إِلَى رِعَايَةِ حُدُودِهِ وَإِقَامَةَ حَقُوقِهِ كَامِلَةً
غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ .

وهذه الدعوة إلى الله تعالى لجعل المؤمن يتألق ببصيرته التي يستهدي
بها ، فيميز بين الحق والباطل ، وينجو من خلالها من الملمات ، لأن
سبيل الحق ضمان للعيش الرغد وللحياة الهانئة .

قال الله تعالى :

﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا *
وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾
[نوح : ١٠ - ١٢] .

ونادى القرآن كذلك بالدعوة إلى الله وطاعته ، وأُثِيَ كَلَامٌ أَحْسَنَ
مِنَ الْقُرْآنِ ؟! فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ
صَالِحًا ﴾ [فصلت : ٣٣] .

قال ابنُ كثيرٍ : أي دعا عباد الله إليه ، وهو في نفسه مهتدٍ بما
يقوله ، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعدّد ، وليس هو من الذين يأمرون
بالمعروف ولا يأتونه ، وينهون عن المنكر ويأتونه ، بل يأتون بالخير ،
ويترك الشرّ ، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى ، وهذه الآية عامة

في كُلِّ من دعا إلى خير .

ولا شكَّ أنَّ الجامعَ بين تعلُّم القرآن وتعليمه مكملٌ لنفسه ولغيره ، جامع بين النَّفع القاصر والنفع المتعدّي ، ولهذا كان أفضل ، وهو من جُملة من عنى سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾ .

قال ابن حجر : والدعاء إلى الله يقع بأمرٍ شتّى ، من جملة تعليم القرآن ، وهو أشرف الجميع . وعكسه الكافر المانع لغيره من الإسلام ، كما قال تعالى :

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾ [الأنعام : ١٥٧] .

● الترغيب في تعلُّم القرآن :

وردت أحاديث كثيرة تحضُّ على تعلُّم القرآن وتعليمه ، لأنَّ خير الكلام كلام الله تعالى ، فكذا خير الناس بعد الأنبياء من اشتغل به .

فعن عثمان بن عفان ، عن النبي ﷺ قال :

« خيرُكم من تعلَّم القرآن وعلمه » (١) .

والمراد بهذا الحديث : خير المتعلِّمين من يُعلِّم غيره لا من يقتصر على نفسه ، أو المراد مراعاة الحيثية ؛ لأنَّ القرآن خيرُ الكلام ، فمتعلِّمه خير من متعلِّم غيره بالنسبة إلى خيرية القرآن ، وكيفما كان فهو مخصوص بمن علَّم وتعلَّم ؛ بحيث يكون قد علم ما يجب عليه عيناً .

وبما أنَّ تعلُّم القرآن من جنس الدعوة إلى الله تعالى ، فإنَّ أبا

(١) رواه البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه .

عبد الرحمن السُّلَمِيُّ - أحد أئمة الإسلام ومشايخهم - كان مِمَّنْ رغب في هذا المقام ، فقعد يُعَلِّمُ الناس من أمارة عثمان إلى أيام الحجاج ، وكان مقدار ذلك الذي مكث فيه يُعَلِّمُ القرآن سبعين سنة - رحمه الله وهنأه بما طلبه - .

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » (١) .

وسُئِلَ الثوري عن الجهاد وإقراء القرآن ، فرجَّح الثاني واحتجَّ بهذا الحديث (٢) .

قال القرطبي : قال العلماء : تعلُّمُ القرآن أفضل الأعمال ، لأنَّ فيه إعانةً على الدين ، فهو كتلقين الكافر الشهادة لِيُسَلِّمَ .

وفَضَّلَ تعلُّم القرآن كبير ، فقد كان جبريل - عليه السلام - مُعَلِّمًا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [النجم : ٥] .

وقد زوَّج رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الواهبة نفسها لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ أَحَدَ صحابته على أن يُعَلِّمها القرآن ، فمن فضل القرآن أنه قام مقام المال الذي يتوصَّل به إلى بلوغ الغرض ، هذا في الدنيا ، أما في الآخرة فله ثواب جزيل لا خفاء به .

فعن سهل بن سعد قال : أتتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امرأةٌ فقالت إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : « مالي في النساء من حاجة » فقال

(١) رواه البخاري والترمذي .

(٢) رواه ابن أبي داود .

رجل : زَوْجِيهَا ، قال : « أعطها ثوباً » ، قال : لا أَجِدُ ، قال : « أَعْطِهَا ولو خاتماً من حديد » فاعتلَّ له ، فقال : « ما معك من القرآن » ؟ قال : كذا وكذا ، قال : « فقد زوّجتكها بما معك من القرآن » (١) .

قال ابن كثير في (فضائل القرآن) :

الغرضُ منه الذي قصدهُ البخاريُّ أن هذا الرجلُ تعلّمَ الذي تعلّمه من القرآن ، وأمره النبيُّ ﷺ أن يُعلّمهُ تلك المرأة ، ويكون ذلك صداقاً لها على ذلك . وهذا فيه نزاع بين العلماء ، هل يجوز أن يُجعلَ مثلُ هذا صداقاً ؟ أو هل يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ؟ وهل هذا كان خاصاً بذلك الرجل ؟ وما معنى قوله — عليه الصلاة والسلام — : « زوّجتكها بما معك من القرآن » ؟ أَسبب ما معك من القرآن ؟ كما قاله أحمدُ بنُ حنبلٍ : نُكِرْمَكَ بذلك ، أو بعوضٍ ما معك ، وهذا أقوى ، لقوله في صحيح مسلم : « فعَلَّمَهَا » ، وهذا هو الذي أرادَه البخاري هاهنا .

وقالت عائشة : ذُكِرَ رجلٌ عند رسول الله ﷺ بخير ، فقال : « أَوْلَمْ تَرَوْهُ يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ » (٢) ؟ ! .

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال :

« مَنْ عَلَّمَ وَلَدَهُ الْقُرْآنَ قَلَّدَهُ اللَّهُ بِقِلَادَةٍ يَعْجَبُ مِنْهَا الْأَوْلُونَ وَالْآخَرُونَ مِنْ حُسْنِهَا » (٣) .

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه أحمد .

(٣) رواه أبو نعيم .

وقال صلى الله عليه :

« مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ بَاباً مِنْ عِلْمٍ أَنْمَى اللَّهُ أَجْرَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » (١) .

وقال صلى الله عليه :

« مَنْ عَلَّمَ عَبْدًا آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ مَوْلَاهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْذَلَهُ وَلَا يَسْتَأْثِرَ عَلَيْهِ » (٢) .

وتعليم القرآن دلالة على الخير ، فمن علّم القرآن لغيره فله مثل ثوابه ، قال صلى الله عليه :

« الدُّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعِلُهُ » (٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ » (٤) .

فَفَاعِلُ الْخَيْرِ لَهُ ثَوَابٌ دَلَّالَتُهُ ، وَمِثْلُ ثَوَابٍ مِنْ فَعْلِهِ ، وَالْأَجْرُ عَلَى الْأَعْمَالِ إِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى ، يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ عَلَى أَيِّ فَعْلٍ شَاءَ .

قال صلى الله عليه :

« الْقَارِئُ وَالْمُسْتَمِعُ فِي الْأَجْرِ شَرِيكَانِ ، وَالْعَالِمُ وَالْمَتَعَلِّمُ فِي الْأَجْرِ شَرِيكَانِ » (٥) .

(١) رواه ابن عساکر في تاريخه .

(٢) رواه الطبراني في الكبير .

(٣) رواه البزار والطبراني .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه الديلمي .

حيث استويا في الإخلاص وحسن النية ، وغير ذلك من المقاصد والوسائل .

وعن عبد الله بن مسعود قال :

لو جُعِلَ لأحدٍ خمس قلائص ؛ إن صَلَّى الغداة بالقرية لبات يقول لأهله : لقد آن لي أن أنطلق . والله لا يقعد أحدكم فیتعلّم خمس آيات من كتاب الله ، فلهنّ خيرٌ له من خمس قلائص وخمس قلائص^(١) .

وعن أبي عبيدة عن أبيه قال :

كان يقرأ القرآنَ فيمرُّ بالآية ؛ فيقول للرجل : خُذْهَا ، فوالله لهي خَيْرٌ مِمَّا على الأرض من شيء . قال : فيرى الرجل أنما يعني تلك الآية حتى يفعلها بالقوم كلهم^(٢) .

ونظراً لأهمية تعليم القرآن للناس فقد كان علي بن حمزة الكِسائي المقرئ النحوي يجمع الناس ، ويجلس على كرسي ، ويتلو القرآن من أوله إلى آخره ، وهم يسمعون ، ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادي^(٣) .

● آداب مُعلِّم القرآن ومتعلِّمه :

لا بُدَّ لمعلِّم القرآن ومتعلِّمه أن يلتزما جُملة آداب ؛ ليكونا على قدر المسؤولية والمهمة الجسيمة الملقاة على عاتقهما ، ومن ذلك :

(١) رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة .

« قلائص » : جمع قلوص ، وهي الفتية المجتمعة الخلق من الإبل .

(٢) المصدر السابق .

(٣) معرفة القراء (١ / ١٠٢) .

١ - الإخلاص :

فينبغي للعالم والمتعلم أن ينويا رضاء الله تعالى ، وعبادته ، فإنَّ الإخلاصَ من عمل القلب ، وهو الذي يُراد به وجهُ الله تعالى لا غيره .
قال تعالى :

﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ [البينة : ٥] (١) .

وقال ﷺ :

« إنما الأعمال بالنيّات » (٢) .

وقال القشيري : الإخلاص إفراذُ الحقِّ سُبْحانه في الطاعة بالقصد ، وهو أن يريدَ بطاعته التقرُّب إلى الله سبحانه دون شيءٍ آخر من تصنُّعٍ لمخلوق ، أو اكتسابِ صفة حميدة عند الناس ، أو محبةٍ مَدْحٍ من الخلق ، أو معنى من المعاني سوى التقرُّب به إلى الله تعالى :

ويصحُّ أن يُقال : الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين .

وقال ذو النون المصري : الإخلاصُ لا يتمُّ إلا بالصدق فيه ، والصبر عليه ، والصدِّقُ لا يتمُّ إلا بالإخلاص فيه والمداومة عليه (٣) .

وقال الله تعالى :

﴿ ليلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ [الملك : ٢] .

قال الفضيل : أخلصه وأصوبه ، وإن العمل إذا كان خالصاً ولم

(١) « حنفاء » : أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) الرسالة القشيرية ص (٢٠٧ - ٢٠٨) .

يكن صواباً لم يُقْبَلْ ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقْبَلْ ، حتى يكون خالصاً وصواباً . والخالص : إذا كان لله عز وجل ، والصواب : إذا كان على السنة^(١) .

٢ - ألا يقصد القارئ والمقرئ التوصل إلى غرض دنيوي ، فرسول الله ﷺ قال :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصاً ، وَابْتِغَى بِهِ وَجْهَهُ »^(٢) .

قال المناوي :

فمن أراد بعمله الدنيا وزينتها دون الله والآخرة فحظّه ما أراد وليس له غيره .

وقد ورد الوعيد على تعلّم العلم لغير وجه الله ، فقال ﷺ :
« مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ لَا يَتَعَلَّمَهُ إِلَّا لِيُصِيبَ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٣) .

وقال ﷺ :

« مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ بِالْمَجَالِسِ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ النَّارُ »^(٤) .

(١) جامع العلوم والحكم (٢٤ / ١) .

(٢) رواه النسائي .

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه . « عَرَفَ » : ربح .

(٤) رواه الترمذي .

وأما إذا عمل العمل لله خالصاً ، ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك ؛ ففرح بفضل الله ورحمته ، واستبشر بذلك لم يضره ذلك .

وفي هذا المعنى جاء حديثُ أبي ذرٍّ عن النبي ﷺ أنه سُئِلَ عن الرجل يعمل العمل لله من الخير يحمدُه الناس عليه ، فقال : « تلك عاجلُ بشرى المؤمن » (١) .

٣ - أن يُنقذَ المعلِّم وصية رسول الله ﷺ في الرفق بالمعلِّم ، والإحسان إليه ، لقوله ﷺ :

« إنَّ النَّاسَ لَكُمْ تَبَعٌ ، وَإِنَّ رَجَالاً يَأْتُونَكُمْ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ يَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ ، فَإِذَا أَتَوْكُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْراً » (٢) .

قال المناوي :

قوله : « استوصوا بهم خيراً » أي اقبلوا وصيتي فيهم ، يعني الناس يأتونكم من أقطار الأرض وجوانبها يطلبون العلم منكم بعدي ؛ لأنكم أخذتم أفعالي وأقوالي ، واتبعتموني فيها ، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً ، وأمروهم بالخير ، وعظوهم ، وعلموهم علوم الدين .

وقال البيضاوي : وحقيقة استوصوا : اطلبوا الوصية والنصيحة لهم من أنفسكم .

وقال الطيبي : هذا من باب التجريد ، أي ليجرد كل واحد منكم شخصاً من نفسه ، ويطلب منه الوصية في حق الطالبين ، ومراعاة أحوالهم .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه .

والمرادُ حقٌّ على جميع الناس في مشارق الأرض ومغاربها متابعتكم ،
 وحقٌّ عليهم أن يأتوكم جميعاً ، ويأخذوا عنكم أمرَ دينهم ، فإذا لم
 يتمكنوا منه فعليهم أن يستنفروا رجالاً يأتونكم ليتفقّوها في الدين ،
 ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

وكان بعضُ السلف إذا أتاه طالب قال : مرحباً بوصية رسول الله

ﷺ .

وكان علماء السلف يلقون شبك الاجتهاد لصيد طالب ينفع الناس في
 حياتهم وبعدهم ، وأن يتواضع مع طلبته ، ويُرحّب بهم عند إقبالهم
 عليه ، ويكرمهم ، ويؤنسهم بسؤاله عن أحوالهم ، ويعاملهم بطلاقة
 وجه ، وظهور بشر ، وحُسن ودّ ، ويزيدُ في ذلك لمن يُرجى فلاحه ،
 ويظهر صلاحه ، ومن ظهرت أهليته .

٤ - وينبغي للمعلم أن ينصح المتعلمين ، ويذلل لهم كل ما عنده من
 علم ، فالنصيحة من صفات الأنبياء ، قال الله تعالى مخبراً عن هود عليه
 السلام : ﴿ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف : ٦٨] ، وقال عن
 نوح عليه السلام : ﴿ وَأَنْصَحُ لَكُمْ ﴾ [الأعراف : ٦٢] .

والتُّصْحُ : إخلاصُ النية من شوائب الفساد في المعاملة ؛ بخلاف
 الغش .

قال رسول الله ﷺ :

« الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قلنا : لمن ؟ قال : « لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ
 وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » (١) .
 والأئمة هم علماء الدين .

(١) رواه مسلم .

وأما النصيحة لعامة المسلمين : فأرشادهم لمصالحهم في آخرتهم وديناهم ، وكف الأذى عنهم ؛ فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم ، ويعينهم عليه بالقول والفعل ، وستر عوراتهم ، وسدّ خللتهم ، ودفع المضار عنهم ، وجلب المنافع لهم ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيمهم عن المنكر برفق وإخلاص ، والشفقة عليهم ، وتخوّلهم بالموعظة الحسنة ^(١) .

ومن النصيحة للمتعلّمين أن يصبر المعلّم عليهم ، ويعتني بمصالحهم ، ويرعى شؤونهم ، ويتحمّل جفاههم ، ويعذرهم فيما يصدر عنهم ، لا سيما إن كانوا صغار السن .

وعلى المعلّم أن يُحبّ لهم الخير ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

« لا يؤمن أحدكم حتى يُحبّ لأخيه ما يُحبّ لنفسه » ^(٢) .

وفي رواية بلفظ : « ما يحبّ لنفسه من الخير » ^(٣) .

والخير كلمة جامعة تُعمّ الطاعات والمباحات الدينية والدينية ، وتخرجُ المنهيات ؛ لأن اسم الخير لا يتناولها .

والحبة إرادة ما تعتقده خيراً . قال النووي : المحبة : الميل إلى ما يوافق المحبّ ، وقد يكون بحواسّه ؛ كحُسن الصورة ، أو بعلته أو بعقله ؛ إمّا لذاته كالفضل والكمال ، أو لإحسانه كجلب نفع أو دفع ضرر .

وعلى المعلّم أن يُبادِرَ إلى سؤال المتعلّمين ، ويتدبّرهم بالفائدة ، ويحرضهم على أخذ ما عنده من علم ، فعن علي بن أبي طالب قال وهو يخطب :

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٢ / ٣٨ - ٣٩) .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه أحمد والنسائي وأبو عوانة وابن حبان والقضاعي .

سلوني ، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا
حدّثتكم به ، وسلوني عن كتاب الله ؛ فوالله ما منه آية إلا وأنا أعلم بليل
نزلت أم بنهار ، أم بسهل أم بجبل ... أيها الناس تعلّموا العلم ، واعملوا
به ، ومن أشكل عليه شيء من كتاب الله فليسألني عنه^(١) .

وعن سعيد بن جبير قال :

إنّ ممّا يهمني أني وددت أنّ الناس قد أخذوا ما معي من
العلم^(٢) .

٥ - ومن آداب المعلّم أن يكون رفيقاً بالمتعلّمين ، لأنّ الخير كلّه في
الرفق ، والشرّ في ضده .

قال صلّى الله عليه وآله :

« علّموا ولا تُعنّفوا ؛ فإنّ المعلّم خير من المعنّف »^(٣) .

وقال صلّى الله عليه وآله :

« علّموا ويسّروا ، ولا تُعسّروا ، وبشّروا ولا تُنّفروا ، وإذا غضب
أحدكم فليسنك^(٤) » .

قال الماوردي : فعلى العلماء أن لا يُعنّفوا متعلّماً ، ولا يَحْتَقِرُوا
ناشئاً ، ولا يستصغروا مبتدئاً ؛ فإنّ ذلك أدعى إليهم ، وأعطف
عليهم ، وأحثّ على الرغبة فيما لديهم .

وعلى المعلّم أن يسلك بالمتعلّمين سبيل الرفق في التعليم ، فلا يُشدّد

(١) جامع بيان العلم (١ / ١١٤ - ١١٥) .

(٢) المصدر السابق (١ / ١١٦) .

(٣) رواه ابن عدي والبيهقي ، وابن عبد البر في (جامع بيان العلم) .

(٤) رواه أحمد والبخاري في الأدب .

عليهم ، ولا يلقاهم بما يكرهون ، لئلا ينفروا من قول الحق وأتباع الهدى .

ويُعتبر النبي ﷺ من أكبر المعلمين في العالم ؛ إذ ساهم في ضبط سلوك الكبار والصغار ، للعرب والمسلمين ، مستخدماً أساليب التقدم التدريجي ، والرِّفق ، واليسر ، والرَّحمة ، ممَّا أدَّى إلى ضبط سلوك ملايين البشر ضبطاً ذاتياً ، فكَّون المعلومات ، والمهارات ، والعقائد ، والاتجاهات الرَّاسخة على مدى آلاف السنين .

٦ - ومن آداب المعلم أن يكون قدوة حسنة للمتعلمين ، كي يقتدوا به في جميع أفعاله وأحواله ، وهذه التربية بالقدوة من أنجع الوسائل المؤثرة في إعداد المتعلمين ، وتلويهم نفسياً واجتماعياً ، ذلك أن المعلم في نظرهم هو القدوة الصالحة ، والمثل الأعلى ، والأسوة الحسنة ، فتنطبع في نفوسهم صورته القولية والفعلية ، لذا يُطالب المعلم بأن يكون فعله كقوله ، فلا يخالف بينهما .

ولقد بُعثَ رسولُ الله ﷺ ليكون للمسلمين سراجاً منيراً وقدوة صالحة ، فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

فقد كان ﷺ قدوة في الأخلاق الفاضلة ، والكرم ، والزهد ، والعبادة ، والتواضع ، والحلم ، والقوة ، والثبات ، وحسن التدبير ، وغير ذلك كثير .

وقد عاب القرآن الكريم على الذين يخالف فعلهم قولهم ، فقال عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ

تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿ [الصف : ٢ - ٣] .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٤٤] .

٦ - وعلى المتعلم أن يفِي معلمه حقوقه ، فيُسَلِّم عليه ، ويجلس أمامه ، ولا يفتاب أحداً عنده ، ويتواضع له . ونحو ذلك .
فالعلماء منار البلاد ، منهم يُقتبس النور الذي يُهتدى به ، ولهم حقوقهم واحترامهم .

قال عمر بن الخطاب : تعلّموا العلم ، وعلمّوه الناس ، وتعلّموا له الوقار والسكينة ، وتواضعوا لمن تعلّمتم منه ولمن علمتموه ، ولا تكونوا جبابرة العلماء ؛ فلا يقوم جهلكم بعلمكم^(١) .

وقال الشافعي : كنت أصفح الورق بين يدي مالك برفق لئلا يسمع وَقَعَهَا^(٢) .

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« ثلاثة لا يستخفّ بحقّهم إلا منافق : ذو الشّيبة في الإسلام ، وذو العلم ، وإمام مُقسِط »^(٣) .

كذلك ينبغي على المتعلم أن يتأدّب بآداب الصحبة مع إخوته المسلمين من حاضري المجلس ، صيانة للعلم ، وأدباً مع المعلم ، فلا

(١) جامع بيان العلم وفضله (١ / ١٣٥) .

(٢) فيض القدير (٣ / ٢٥٣) .

(٣) رواه الطبراني .

يرفع صوته بشدة لا سيما إن كان في المسجد ، ولا يضحك ، بل يتسم ، ولا يكثر الكلام من غير حاجة ، ولا يعث ، فهو في مجلس علم يشمله الله تعالى برحمته ، وتحفه الملائكة ، وينظر إليه الله سبحانه من فوق عرشه .

وعلى المتعلم كذلك أن يواظب على حضور دروسه ، ولا يقل : أنا عالم ، وعندى الكفاية ، فإن أحس ذلك فهو جاهل ، فالعلم بحر ، كلما غرف منه المرء اشتاق إلى الزيادة ، ورغب فيه من جديد .

وعليه أن يطلب العلم لوجه الله ، قال ﷺ :

« مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللَّهِ ، أَوْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ اللَّهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » (١) .

وإذا علم شيئاً فليعمل به ، قال عبد الله بن مسعود : يا أيها الناس تعلّموا ، فمن علم فليعمل (٢) .

وقال ﷺ :

« رُبُّ حَامِلٍ فِقْهٍ غَيْرِ فِقِيهِ ، وَمَنْ لَمْ يَنْفَعِهِ عِلْمُهُ ضَرَّهُ جَهْلُهُ ، أَقْرَأَ الْقُرْآنَ مَا نَهَاكَ ، فَإِنْ لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرؤه » (٣) .

وأشد ما يُخاف على المتعلم أن يزل ، فعن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ :

« إِنَّمَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلًا قَرَأَ الْقُرْآنَ ، حَتَّى إِذَا رُؤِيَ عَلَيْهِ بَهْجَتُهُ ، وَكَانَ رَدِيءَ الْإِسْلَامِ ، اعْتَزَلَ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَخَرَجَ عَلَى

(١) ذكره ابن عبد البر في (جامع بيان العلم / ١ / ١٩٣) .

(٢) رواه الطبراني .

(٣) رواه الطبراني في الكبير .

جاره بسيفه ، ورماه بالشرك » (١) .

وعلى المتعلم أن يُعظّم القرآن الكريم ويصونه ، ويُطبّق مواعظه ،
ويحلّ الحلال ، ويحرّم الحرام ، ليكون من جُملة القارئین العاملين ،
ورحم الله عبداً تعلمَ فعمل ، وفهم فطبّق ما فهمه في سلوكه وأحواله .

● تلقي القرآن وتعلمه :

بعد أن عرفنا أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد رغبنا المؤمنَ في
تعلّم القرآن ، وقراءته وحفظه ، وأطللنا على آداب المعلم والمتعلم ،
لا بُدَّ أن نشيرَ إلى كيفية تلقي القرآن وتعلمه ، فنقول :

يندرج تعلّم القرآن في ثلاث طرق :

التلقي عن أستاذ متخصص ، أو الانتساب لمعهد شرعي ، أو سماع
أشرطة « الكاسيت » لمقرئين معروفين .

١ - التلقي عن أستاذ متخصص :

وهذه الطريقة هي المثلى في تلقي القرآن الكريم ، وذلك أن تعلم
القرآن يتم عن طريق السماع ، والتلقي شفاهاً لمعرفة أصول القراءة ،
وفن التجويد ، فيجلسُ القارئ بين يدي المقرئ ليسمع منه ،
ويتعلم ، فإن أخطأ رده الأستاذ إلى الصواب .

وسبق أن أشرنا إلى أن أبا عبد الرحمن السلمي أقرأ الناس في خلافة
عثمان بن عفان إلى أن توفي في إمرة الحجاج ، وذكرنا أيضاً أن لأبي
الدرداء حلقات في جامع دمشق ، حيث يجتمع الناس للقراءة عليه ،
فكان يجعلهم عشرة عشرة ، وعلى كلِّ عشرة عريفاً ، ويقف هو في

(١) رواه البزار .

المحراب يرمقهم ببصره ، فإذا غلط أحدُهم رجع إلى عريفه ، فإذا غلط عريفُهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك .

وها هو عبد الله بن كثير - إمام المكيين في القراءة - يتصدّر للإقراء ، وصار إمام أهل مكة في ضبط القرآن ، وقد قرأ عليه الكبار أمثال : أبو عمرو بن العلاء ، وشبل بن عباد ، ومعروف بن مشكان ، وغيرهم . وعاصم بن أبي النجود قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي ، وزر بن حبيش ، وقرأ عليه خَلَقَ كثير ؛ فإنه تصدَّى لإقراء كتاب الله تعالى .

والأخبار في هذا الموضوع تكاد لا تُعدّ ، ومن شاء الاستزادة فعليه بكتاب « معرفة القراء » للذهبي ، ففيه الفائدة - إن شاء الله تعالى - .

ثم إن اختيار الأستاذ سهل جداً ، مثل إمام ، أو خطيب المسجد ، أو صديق طالب علم ، أو متقن لقراءة القرآن ممن تعرفه . وكل مسلم حريص على أن يعلم القرآن ، فلا عذر لأحد في التقصير في ذلك ، إنما هو الكبر أو الخمول ، عافانا الله منهما ، ومن كل آفة تبعدنا عن الخير .

٢ - الانتساب لمعهد شرعي :

فإن لم يتوفّر أستاذ متخصص ، فلا بأس بالانتساب لمدرسة تُعلّم القرآن الكريم ، وتنشر علومه بين المسلمين ، شريطة أن يكون في هذه المدرسة أستاذ قادر على تعليم القرآن ، ونقله بصورة صحيحة إلى المتعلمين .

وكانت المدرسة في عصر الرسول ﷺ هي المسجد ، وكان له

فرع ليلي ينام فيه أهل الصُّفَّة ، فيجمعون بين التعلّم الديني والديني ، وفي عهد عمر بن الخطاب نشأت كتاتيب للأطفال يتعلّمون فيها .

وانتشرت المدارس في العصر العباسي ، وكثر طلاب العلم ، ففي دمشق وحدها كان ما يزيد على ثلاثمائة مدرسة ، وأشهرها : المدرسة الظاهرية ، والنورية .

وفي عصرنا عمّت المدارس في كلّ مكان ، ولكن فقدّ التعلّم الديني أهميته ، واقتصر على مجرد بضع حصص تُلقى على الطلاب في الشهر .

ولكن ثمة معاهد شرعية هنا وهناك ، يتلقى الطلاب فيها العلم الديني ، وقراءة القرآن ، فلا مانع من تعلّم القرآن في أيّ معهد يقوم على الإخلاص في العمل ، والالتزام بالإسلام والعمل له ، والورع ، وتقوى الله تعالى .

وهذه المعاهد الدينية تحقيق لقوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾

[الإسراء : ٥٧] .

وابتغاء الوسيلة : التّقرّب إليه بطاعته والعمل بما يُرضيه .

٣ - سماع أشرطة « الكاسيت » :

فإذا لم يتوافر الأستاذ المتخصص ، ولم يستطع المتعلّم الانتساب للمعهد الشرعي ، فلا بأس أن يبتاع أشرطة مسجّلة ، ليسمع من خلالها الآيات القرآنية مُرتّلة ، فيقلد المقرئ ، وشيئاً فشيئاً يتعلّم قدر استطاعته .

ويُشترط في هذه الأشرطة أن لا تكون القراءة فيها مُلحَّنة ، فطالبُ العلم يريدُ سماعَ القرآن وتعلُّمه ، لا الطرب ولا الغناء !! فكثيرٌ من هذه الأشرطة بعيدةٌ عن مفهوم القراءة الصحيحة .

وحبذا لو كان صوت المقرئ حسناً ، فهذا يزيدُ في رغبة المتعلِّم .
قال صلى الله عليه وسلم :

« لله أشدُّ أذناً إلى الرجل الحسن الصوتَ بالقراءة يَجْهَرُ به ، من صاحب القينة إلى قينته » (١) .

ورُوي عن سعيد بن المسيب أنه سمع عمر بن عبد العزيز يُؤمُّ بالناس ، فطرب في قراءته ، فأرسل إليه سعيد بن المسيب يقول :
أصلحك الله ، إنَّ الأئمة لا تقرأ هكذا . فترك عمر التطريبَ بعدُ .

ورُوي عن مالك أنه سُئِلَ عن الألحان في الصلاة ، فقال : لا يُعجبني ، وقال : إنَّما هو غناء يتمتعون به ، أو قال : يتغنُّون به ليأخذوا عليه الدراهم (٢) .

ويُفضَّل أن تكون القراءة خاشعة ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم :

« إنَّ من أحسن النَّاسِ صَوْتاً مَنْ إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يَحْشَى الله تعالى » (٣) .

وثمة ملاحظةٌ جديدةٌ بالالتفات إليها ، وهي أن الأشرطة المسجَّل عليها آيات من القرآن عنصر مساعد مفيد في تعلُّم القرآن ، لكنها لا

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان « موارد » .

(٢) ذكره القرطبي في (التذكار) .

(٣) رواه ابن ماجه .

تغني غناء الشيخ ، أو الأستاذ المتخصص بفنّ القراءة ، فهي مجرد السماع والخشية ، ولا يمكن أن تقوم مقام المقرئ أبداً ؛ ذلك أن تلاوة القرآن ينبغي أن تُسمع شفاهاً ، وتُتلَقَّى عن مقرئ سمع عن غيره ، وهكذا حتى تصل القراءة إلى رسول الله ﷺ .



الفصل السابع

الاستماع للقرآن والإنصات إليه

الاستماع للقرآن والإنصات إليه

● فضل سماع القرآن :

قال الله تعالى :

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾
[الأعراف : ٢٠٤] .

وقال ﷺ :

« من استمع إلى آية من كتاب الله كُتبت له حسنة مضاعفة »^(١) .

وقال الحسن البصري : إذا جلست إلى القرآن فأنصت له .

وهذا وغيره أمرٌ بالإنصات عند تلاوة القرآن ؛ إعظماً له واحتراماً ، لا كما كان يتعمده كفار قريش في قولهم : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ [فصلت : ٢٦] .

● مواضع الاستماع للقرآن :

اختلف أهل التأويل في الحال التي أمر الله تعالى بالاستماع لقارئ القرآن إذا قرأ والإنصات إليه ، فقال بعضهم :

ذلك حال كون المصلّي في الصلاة خلف إمام يأتّم به ؛ وهو يسمع قراءة الإمام عليه أن يسمع لقراءته .

(١) رواه أحمد .

فعن أبي هريرة قال : كانوا يتكلمون في الصلاة ، فلما نزلت هذه الآية ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ ﴾ أُمِرُوا بِالْإِنصَاتِ .

وعن مجاهد قال : في الصلاة المكتوبة .

وعن الزهري قال : لا يَقْرَأُ مَنْ وراء الإمام فيما يجهر به من القراءة ، تكفيهم قراءة الإمام وإن لم يُسْمِعْهُمْ صوته ، ولكنهم يقرؤون فيما لم يجهر به سراً في أنفسهم ، ولا يصلح لأحدٍ خلفه أن يقرأ معه فيما يجهر به سراً وعلانية .

وقال آخرون :

بل عنى بهذه الآية الأمر بالإنصات للإمام في الخطبة إذا قرأ القرآن .

فعن مجاهد قال : في قوله : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ ﴾ : الإنصات للإمام يوم الجمعة .

وقال آخرون :

عنى بذلك : الإنصات في الصلاة وفي الخطبة .

قال مجاهد في هذه الآية ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ ﴾ : في الصلاة والخطبة يوم الجمعة .

وعن عطاء قال : وجب الصّمت في اثنتين : عند الرجل يقرأ القرآن وهو يُصَلِّي ، وعند الإمام وهو يخطب .

وقال الحسن : في الصلاة المكتوبة وعند الذّكر .

وقال سعيد بن جبير : الإنصات يوم الأضحى ، ويوم الفطر ، ويوم الجمعة ، وفيما يجهر به الإمام من الصلاة .

وقد رجّح الطبري الاستماع والإنصات للقرآن في الصلاة ، فقال :

« وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول مَنْ قال : أَمُرُوا بِاسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ إِذَا قُرَأَ الْإِمَامُ ، وَكَانَ مِنْ خَلْفِهِ مِمَّنْ يَأْتَمُّ بِهِ يَسْمَعُهُ ، وَفِي الْخُطْبَةِ ، وَذَلِكَ لِصِحَّةِ الْخَبْرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا قُرَأَ الْإِمَامُ فَأَنْصِتُوا » (١) ، واجتماع الجميع على أن من سمع خطبة الإمام ممن عليه الجمعة : الاستماع والإنصات لها ، مع تتابع الأخبار بالأمر بذلك عن رسول الله ﷺ ، وأنه لا وقت يجب على أحدٍ استماع القرآن ، والإنصات لسامعه من قارئه ، إلا في هاتين الحالتين ، وعلى اختلاف في أحدهما ، وهي حالة أن يكون خلف إمام مؤتم به .

لكن ظاهر الآية يوجب الإنصات والاستماع عامة ، وما حكاه الطبري يجعل المراد خلف الإمام في كل صلاة جهرية أو سرية ، ثم خصصها بعض الأئمة بدليل الأمر بقراءة الفاتحة .

● موقف المستمع أثناء سماعه القرآن :

قال الطبري :

قوله تعالى : ﴿ إِذَا قُرِئَ ﴾ عليكم أيها المؤمنون ﴿ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ يقول :

أصغوا له سمعكم لتتفهّموا آياته ، وتعتبروا بمواعظه ، وأنصتوا إليه لتعقلوه وتدبّروه ، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ يقول : ليرحمكم ربكم باتعاطكم بمواعظه ، واعتباركم بعبره ، واستعمالكم ما بيّنه لكم ربكم من فرائضه في آيه .

وقال تعالى :

(١) رواه مسلم وابن ماجه .

﴿وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] .

قال ابن جرير : إن الأمر بالذكر هنا موجه إلى مستمع القرآن ؛ أمر بأن يتدبر في نفسه ما يسمع .

وقال عطية العوفي : إن المراد بالذكر هنا الدعاء .

والجمهور على أنه عام ، وأن الخطاب فيه للنبي ﷺ ومن أتبعه .

● أقوال العلماء في الاستماع للقرآن :

قال الشيخ المراغي في تفسيره :

الآية ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ تدل على وجوب الاستماع والإنصات للقرآن إذا قرئ ، سواء أكان ذلك في الصلاة أو في خارجها ، وهو المروي عن الحسن البصري ، لكن الجمهور خصوه بقراءة الرسول ﷺ في عهده ، وبقراءة الصلاة والخطبة من بعده ، ذلك أن إيجاب الاستماع والإنصات في غير الصلاة والخطبة فيه حرج عظيم ، إذ يقتضي أن يترك له المشتغل بالعلم علمه ، والمشتغل بالحكم حكمه ، وكل ذي عمل عمله .

أما قراءة النبي ﷺ فكان بعضها تليغاً للتنزيل ، وبعضها وعظاً وإرشاداً ، فلا يسع أحداً من المسلمين يسمعه يقرأ أن يعرض عن الاستماع ، أو يتكلم بما يشغله ، أو يشغل غيره به ، وهكذا شأن المصلي مع إمامه وخطيبه ، إذ هذا هو المقصود من الصلاة والواجب فيها .

وما تفعله جماهير الناس في المحافل التي يُقرأ فيها القرآن كالمآتم وغيرها من ترك الاستماع ، والاشتغال بالأحاديث المختلفة ؛ فمكروه كراهة شديدة ، ولا سيما لمن كانوا على مقربة من التالي .

ولا يجوز لقارئ أن يقرأ على قومٍ لا يستمعون له ، وإن كان أكثرهم يستمع وينصت فشذَّ بعضهم بمناجاة صاحبه بالجنب بلا تهويشٍ على القارئ ولا على المستمعين كانت المخالفة سهلةً ؛ لا تقتضي ترك القراءة ، ولا تُنافي الاستماع .

والواجبُ على كُلِّ مؤمنٍ بالقرآن أن يحرصَ على استماعه عند قراءته كما يحرص على تلاوته ، وأن يتأدَّبَ في مجلس التلاوة .

وجملةُ الأمر في ذلك ألا يصدر من السامع ما يُعدُّ في اعتقاده أو في عُرْفِ الناس أنه منافٍ للأدب .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا :

هذه الآية دلالةٌ على الطريقة الموصلة لنيل الرحمة بالقرآن ، والحصانة من نزغ الشيطان ، وهي الاستماعُ له إذا قُرئ ، والإنصات مُدَّة القراءة .

والاستماعُ أبلغُ من السمع ؛ لأنه إنَّما يكون بقصدٍ ونيةٍ ، وتوجيه الحاسة إلى الكلام لإدراكه ، والسمع : ما يحصل ولو بغير قصد ، والإنصات : السكوت لأجل الاستماع ؛ حتى لا يكون شاغلاً عن الإحاطة بكل ما يقرأ . فمن استمع وأنصت كان جديراً بأن يفهم ويتدبَّر ، وهو الذي يُرجَى أن يُرحم .

ومن فروع طلب الاستماع والإنصات أن القارئ لا يُطلب منه ترك قراءته للاستماع لقارئٍ آخر ، بل يختار لنفسه ما يراه خيراً له من الأمرين ، فقد يخشعُ بعضُ الناس بقراءة نفسه ، ويخشعُ آخر بالاستماع من غيره ، أو من بعض القراء دون بعض . وإذا تعدَّد القراء في مكانٍ

استمع كل حاضر لمن كان أقرب إليه ، أو لمن يرى قراءته أشد تأثيراً في نفسه .

وأما تعمّد الإعراض عن السماع للقرآن فلا يكاد يفعله مؤمن به ، وكذلك رَفَعُ الصوت بالكلام على صوت القارئ عمداً ، فإذا كان الله تعالى قد أدب المؤمنين مع رسوله ﷺ بقوله :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات : ٢] .

فَرَفَعُ أصواتهم على صوت التالي لكلامه عز وجل أولى بأن يُنهي عنه ، والأدبُ معه فوق الأدب مع كلام النبي ﷺ بالضرورة .

ثم إن قوة الدّين وكمال الإيمان واليقين لا يحصلان إلا بكثرة قراءة القرآن واستماعه مع التدبّر بنية الاهتداء به ، والعمل بأمره ونهيه .

وما ضَعَفَ الإسلام منذ القرون الوسطى حتى زال أكثر ملكه إلا بهجر تدبّر القرآن ، وجعله كالرّق والتعاويد التي تُتخذُ للتبرُّك أو لشفاء أمراض الأبدان ، وجلُّ فائدة الصلاة - وهي عماد الدّين - بتلاوة القرآن مع التدبّر بنية الاهتداء به ، والعمل بأمره ونهيه .

وما ضَعَفَ الإسلام منذ القرون الوسطى حتى زال أكثر ملكه إلا بهجر تدبّر القرآن ، وجعله كالرّق والتعاويد التي تُتخذُ للتبرُّك أو لشفاء أمراض الأبدان ، وجلُّ فائدة الصلاة - وهي عماد الدّين - بتلاوة القرآن مع التدبّر والتخشُّع ، فإذا زال منها هذا صارت عادةً قليلة الفائدة .



الفصل الثامن

التفقه بالقرآن والحمل به

التفقه بالقرآن والعمل به

● فضل التفقه والعمل بالقرآن :

بَيَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْعِلْمَ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، فَحَثَّ أُمَّتَهُ عَلَى تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَأَحْكَامِهِ ، وَالنَّظَرِ فِي الْفِقْهِ ، وَاسْتِنْبَاطِ الدَّلَائِلِ ، وَاسْتِخْرَاجِ الْأَحْكَامِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

فالتفقه خيرٌ للمؤمن ؛ لأن الفقيه من فقه عن الله تعالى أمره ونهيه ، ولا يكون ذلك إلا لعاملٍ بعلمه ، فحقيقةُ الفقه ما وقع في القلب ، ثم ظهر على اللسان ؛ فأفاد العمل ، وأورث الخشية ، وصولاً إلى التقوى .

قال ﷺ :

« من يرد الله به خيراً يُفقهه في الدين »^(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« يا أيها الناس تعلّموا ، إنما العلم بالتعلم ، والفقه بالتفقه ، ومن يرد الله به خيراً يُفقهه في الدين »^(٢) .

وقد فضل رسول الله ﷺ مجالس الفقه على مجالس الذكر ، فعن

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه الطبراني .

عبد الله بن عمرو بن العاص قال :

دخل النبي ﷺ المسجد ، فرأى مجلسين ، أخذُ المجلسين يذكرون الله ويرغبون إليه والآخرون يتعلمون الفقه ، فقال رسولُ الله ﷺ : « كلا المجلسين على خير ، وأحدهما أفضل من صاحبه ، أمّا هؤلاء فيعلمون ويُعلمون الجاهل ، وإنما بُعثتُ مُعلِّماً » فجلس معهم .^(١)

وقال يزيد الرقاشي : كان أنس إذا حدّث هذا الحديث أقبل عليّ وقال : والله ما هو بالذي تصنع أنت وأصحابك ، ولكنهم قوم يتعلمون القرآن والفقه .

وقال الله تعالى :

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

[البقرة : ٢٦٩] .

قال مجاهد : ليست بالنبوة ، ولكن الفقه والعلم والقرآن .

وسئِلَ أحمد بن يحيى عن هذه الآية فقال : الحكمة فقه الشيء ، قيل له : الكتاب غير الحكمة؟ فقال : لا يكون حكيمًا حتى يَعْلَمَ القرآن والفقه^(٢) .

وقد أنزلَ اللهُ تعالى القرآن الكريم للعمل بأحكامه ، وبناء مجتمع ربّاني ، يُجسّدُ أوامر الله في أرضه ، ويحقّق دعوة المرسلين في الأصقاع والبلاد ، وتكوين الفرد المؤمن تكويناً لائقاً ، بحيث ينطلق في رحاب الوجود بطلاً في كل مجال ، ورائداً في مختلف أنواع العلوم والآداب

(١) رواه الطيالسي والخطيب في (الفقيه والمتفقه) .

(٢) الفقيه والمتفقه (٢٩ / ١) .

والمعارف ، عاملاً بشريعة الله ، داعياً إليها في كل آن ، وصدق الله تعالى في قوله :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾
[العنكبوت : ٦٩] .

وقال وهب الذماري :

مَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَقَامَ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ ، وَمَاتَ عَلَى الطَّاعَةِ ، بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ السَّفَرَةِ وَالْأَحْكَامِ ^(١) .

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« اَعْمَلُوا بِالْقُرْآنِ ، أَحْلُوا حَلَالَهُ ، وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ ، وَاقْتَدُوا بِهِ ، وَلَا تَكْفُرُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ » ^(٢) .

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالْأُتْرَاجَةِ طَعْمَهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ » ^(٣) .

وهذا الحديث في فضل مَنْ قرأ القرآن ، وعمل بأحكامه .

وقال الله تعالى :

﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام : ١٠٦] .

قال ابن كثير : أي اقتده ، واقتف أثره ، واعمل به ؛ فَإِنَّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَرِيَةَ فِيهِ .

(١) رواه الدارمي . « السفره » : الملائكة . « الأحكام » : الأنبياء .

(٢) رواه الوائلي في « الإبانة » .

(٣) رواه البخاري .

وقال الله عز وجل :

﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ٣] .

قال القرطبي : أي اتَّبِعُوا مِلَّةَ الإسلام والقرآن ، وأَجِلُّوا حلالَهُ
وَحَرَّمُوا حرامه ، وامثلوا أمره ، واجتنبوا نهيه .

وقال ﷺ :

« إني تاركٌ فيكم ثقلين ، أحدهما أكبر من الآخر : كتابُ الله حَبْلٌ
مدودٌ من السماء إلى الأرض ، طرفه في يد الله عزَّ وجلَّ ، وطرفُه في
أيديكم ، فاستمسكوا به ، ألا وعترتي » (١) .

وفي هذا الحديث وصَّى ﷺ أمته بحسن معاملة القرآن وآل بيته ،
وإيثار حقِّهما ، والاستمسك بهما ، أمَّا الكتاب فلائنه معدن العلوم
الدِّينِيَّة ، والأسرار والحكم الشرعيَّة ، وكنوز الحقائق ، وخفايا
الدِّقائق . وأمَّا العترة فلائنه العنصر إذا طاب أعان على فهم الدِّين ،
فطيبُ العنصر يؤدِّي إلى حسن الأخلاق ، ومحاسنها تؤدِّي إلى صفاء
القلب ونزاهته وطهارته .

قال الحكيم : والمراد بعترته هنا العلماء العاملون ؛ إذ هم الذين لا
يُفَارِقُونَ القرآن ، أمَّا نحو جاهلٍ وعالمٍ مخلَّطٍ فأجنبيَّ عن هذا المقام ،
وإنَّما يُنظر للأصل والعنصر عند التحلِّي بالفضائل ، والتخلِّي عن
الرَّذائل ، فإذا كان العلم النافع في غير عنصرهم لزمنا أتباعه كائنًا ما
كان .

ثم إنَّ تعليم القرآن الكريم له غايات كثيرة ، فمن غاياته القرية إتقان

(١) رواه أحمد والترمذي . « عترتي » : أهل بيتي .

تلاوته ، وحسن فهمه ، وأما غاياته البعيدة فهي تطبيق تعاليمه تحقيقاً لعبودية الله تعالى ، وطاعة للمولى العزيز ، والاهتداء بكلامه ، والخشية منه ، وتنفيذ أوامره ، تجسيداً لقوله عز وجل :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[الذاريات : ٥٦] .

● معاني العمل بالقرآن :

نعني بالعمل بالقرآن ما تضمنه كتاب الله من أوامر ونواهٍ ، ففيه الحياة الأبدية ، والتَّعَمُّدُ السَّرمديَّة ، قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

ففي القرآن حياة الإنسان ، وملاذه ، وملجؤه وعصمته ، والحبل المتين الذي يتمسك به ، والعقيدة الأصيلة النقيَّة التي يلتزمها ، فقد أظهر الله تعالى إرادته في كتابه ، وأوحى إلى رسله ، ليطلعنا على الهدف الأسمى من الوجود الإنساني ، وهو تلقي الأوامر الربانية وتجسيدها ، رعايةً لمصلحة الإنسان والمجتمع ، وتحقيقاً لقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة : ١] وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ﴾ [غافر : ٢٠] .

● مجالات العمل القرآني :

تتعدّد مجالات العمل بالنصّ القرآني لتشمل نواحي الحياة بأسرها ، فقد نظرَ الإسلامُ إلى الحياة على أنها نعمة من الخالق عز وجل ، ودار اختبار وامتحان ، وأنها متاع مؤقت ، فيه الزينة والزخرف والشهوات

والملذات ، ويجوز للمسلم الاستمتاع بالحياة الدنيا في حدود الشرع .
 والحياة كذلك دار تعب وكُدْح وجِدِّ ، والله تعالى مع المؤمنين في
 الدنيا والآخرة ، ينصرهم ، ويؤازرهم ، ويكون معهم ، فحذّرهم من
 الدنيا ، وأمرهم أن يصبروا على بلوائها ، ويكونوا من جنود الفضيلة
 والخير ، ليسعدوا في الدنيا والآخرة .

وسنحاول أن نركّز على بعض مجالات العمل بالقرآن :

١ - العبادة :

لقد خلق الله عز وجل الإنسان في هذا الوجود ليعبد الله موله .
 قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[الذاريات : ٥٦] .

فالغاية من خلق الإنسان أن يقوم بحق الله تعالى عليه ، لأنه مخلوق لله
 وليس لغيره ، ولعبادته وحده دون شريك ، فكان النداء الأول في كل
 رسالة سماوية : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾
 [الأعراف : ٥٩] ، والجميع مأمورون بالعبادة :

قال تعالى للنبي محمد ﷺ : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾

[الحجر : ٩٩] .

وقال سبحانه في شأن عيسى عليه السلام : ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ
 الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ﴾ [النساء : ١٧٢] .

وعبادة الله وحده هي المهمة الملقاة على عاتق الإنسان في هذا
 الوجود .

ولكن ما هي العبادة ؟

العبادة هي غاية الدُّلِّ لله عز وجل مع غاية المحبة له ، والالتزام بما شرعه المولى القدير ودعا إليه رسله ، أمراً ونهياً ، وتحليلاً وتحريماً ، وهذا الالتزام أساسه الشعور الواعي بوحدانيته تعالى ، وقهره لكل مَنْ في الوجود ، فكلّهم عبيده ، وفي قبضة قدرته وسلطانه . قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾

[الرعد : ١٥] .

وأساسُ الخضوع لله الواحد القهار هو الشعورُ الذاتي بالحاجة إلى مَنْ يملكُ الضرّ والنفع ، والموت والحياة ، ومَنْ له الخلقُ والأمر ، ومَنْ بيده ملكوت كلِّ شيء .

ثم لا بُدُّ أن يصدر الالتزام بما شرعه الله من قلب يجب الله تعالى ، فليس في الوجود مَنْ هو أجدر من الله تعالى بأن يُحَبَّ ، فهو صاحبُ الفضل والإحسان ، والنعمة والرحمة ، فمن عرف الله أحبه ، وبقدر درجته في المعرفة تكون درجته في المحبة ، ولهذا كان رسولُ الله ﷺ أشدَّ الناس حُباً لله ، لأنه كان أعرفهم بالله^(١) .

وللعبادة مجالات رحبة في الحياة ، لأنها تشمل الدِّين كله ، فهي اسمٌ جامع لكلِّ ما يحبّه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال ، الباطنة والظاهرة ، كالصلاة والزكاة والصيام والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبرِّ الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ... وأمثال هذا من العبادة .

(١) العبادة في الإسلام ، د . القرضاوي ص (٣١ - ٣٤) .

فتشمل العبادةُ الفرائض والتطوّع كالذّكر والدعاء والتسبيح ،
ونحو ذلك .

وتشمل أيضاً الأخلاق والفضائل ، وحسن المعاملة وحقوق
العباد .

فالعبادة تسعُ الحياةَ بأكملها ، من أدب الأكل والشرب ، وقضاء
الحاجة ، إلى بناء الدولة ، وسياسة الحكم ، وسياسة المال ، وشؤون
المعاملات والعقوبات ، وأصول العلاقات الدولية في السلم
والحرب^(١) .

ومن مقتضى عبادة الله أن ينقاد الإنسان لشرع الله ، قال تعالى :
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ
لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِرِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾
[الأحزاب : ٣٦] .

قال ابن كثير في تفسيره :

فهذه الآية عامّة في جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله
بشيء فليس لأحدٍ مخالفته ، ولا اختيار لأحدٍ هاهنا ولا رأي ولا قول .

وقد أمر الله تعالى عباده بأوامر وأحكام تتناول جوانب الحياة
المختلفة ، فمن ذلك قوله عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾
[البقرة : ١٧٨] .

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ

(١) المصدر السابق ص (٥١) .

لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ﴿ [البقرة : ١٨٠] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

فهذه الأمور مفروضة على العباد ، فعليهم أن يعبدوا الله بها ، وذلك بالتزامها والانقياد لها .

وللعبادة آثار تربوية في حياة الإنسان ، منها :

— أن العبادة تُعلِّمنا الوعي الفكري الدائم ، لأنه ما من عبادة يقبلها الله إلا إذا اتصفت بشرطين : إخلاص النية والطاعة لله ، والإتيان بالطاعة على الشكل والأسلوب الذي سنَّه رسول الله ﷺ .

والاستمرار على هذين الشرطين يعني الاستمرار في الخضوع لله والتفكير بعظمته ، والشعور بالانقياد له ، والاستمرار في وعي الإنسان لعبادته ؛ وتمشيها مع الشريعة والتعاليم الشرعية .

— وأن العبادة تُرَبِّي المسلم على الارتباط بالمسلمين ، حيثما كان ، ارتباطاً واعياً منظماً متيناً ، لأنه ارتباط واع ، وليس طاعة عمياء للمجتمع . فالأعمال الجماعية بين المسلمين تُكسبهم قوة الجماعة وعواطفها المشتركة ، إلى جانب لذة المناجاة الفردية والشعور بقوة الذات المسلمة .

— وأن العبادة تُرَبِّي النفس المسلمة على العزة ، والكرامة ، وإباء الضيم ، والاعتزاز بالله لأنه أكبر من كل كبير ، بيده ملكوت كل شيء .

– وأن العبادة تعلم الحياة الشوريّة ، القائمة على التعاون ،
والمساواة ، والعدل ؛ فالمسلمون يتشاورون ويتناصحون ، ومعاملتهم
واحدة أمام القانون والتشريع ، وكلُّ واحدٍ يأخذ حقه حسب مهاراته
وكفاءاته ، وتقواه وصلاحه .

– وأن العبادة تُربِّي عند المسلم قَدْرًا من الفضائل الثابتة المطلقة ،
فالمسلم هو المسلم بأخلاقه وإنسانيته أنّى سار ، وحيثما حلّ ، لأنَّ رَبَّهُ
واحدٌ يراقبه حيثما كان .

– وأن العبادة تُزوِّدُ الإنسان بشحنات متتالية من القوة المستمدة
من قوّة الله ، والثقة بالنفس المستمدّة من الثقة بالله ، والأمل بالمستقبل ،
و ثواب الجنة .

– وأن العبادة تُجدِّد نفس المسلم باستمرار بما تمنحه من شحنات
القوة والعاطفة والأمل ، والتوبة التي تزيل عن قلبه وتصوراته ما قد يعلق
بها من أدناس^(١) .

ولا تقتصرُ العبادة على الصلاة والزكاة والصيام والحج ، تلك
العبادات المعروفة قبل الإسلام فالله تعالى يقول : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً
يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ
وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٣] .

وفي الصيام يقول الله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

(١) أصول التربية الإسلامية ، لعبد الرحمن التحلاوي ص (٥٤ – ٦٠) .

وفي الحج يقول تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾ [الحج : ٢٧] .

وقد أخذت هذه العبادات في الدين الإسلامي شكلها الأخير ، وأصبحت نقيّة من كل شائبة ، وبَدَتْ في أجمل وأكمل صورة .

فالصلاة دعاء وتلاوة ، وأعمال يشترك فيها اللسان والقلب والجوارح . ولها شروط ، كالنظافة والطهارة ، وأخذ الزينة ، والاتجاه إلى القبلة ، وغير ذلك .

والزكاة حق معلوم ، وضرية مقدّرة ، تقوم الدولة على جبايته لقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة : ١٠٣] . ومن منعها قُوتل حتى يؤديها ولو بالقوة .

والصيامُ عمل إيجابيّ ، في حقيقته وروحه ، يكون في شهر معين ، لتقوية الروح ، وصحة الجسد ، وتربية الإرادة ، وتعريف بالنعمة ، وتذكير بالمحرومين .

والحج صلة بالبيت الحرام ، وله أعمال مخصوصة ، وفيه شحنات روحية وعاطفية ، وتدريب على تحمّل المشاق ، وفيه منافع تجارية ، وتأکید للمساواة والوحدة والسلام .

إذن لا تقتصر العبادة على هذه الأركان بل تتعدها لتشمل الإنسان كلّهُ ، والحياة كلّها . فتكون العبادةُ بالفكر والقلب واللسان ، وكل الجوارح . وتكون العبادةُ أيضاً بالسفر ومفارقة الوطن ، وبذل النفس والمال ، وطلب العلم ، وحبّ الله ورسوله .

وقد يخاطر على بال أحدنا : ما هو النهج الأمثل في تعليم

العبادات^(١)؟ فنقول : يتمثل هذا المنهج في النقاط التالية :

١ - الرجوع إلى عهد البساطة في تعليم العامة :

لا بُدَّ من عرض العبادات ببساطة على الناس ، ويمكن للعالم المتخصص أن يغوصَ في التفريع المسهب ، ولكن عليه أن يعرضَ العبادة أمام العامة ببساطةٍ على طريقة رسول الله ﷺ ، فقد كان الرجلُ يجيءُ إليه من البادية ، يريدُ أن يتعلَّم منه الدِّينَ ، فيسأله بضعَ أسئلة ، ويتلقَى منه أجوبتها ؛ ببساطة ووضوح ، ويحضر معه بعض الصلوات ، فيتعلَّم بالقدوة لا بالتلقين ، ثم يذهب الرجل ، وقد لا يلتقي برسول الله ﷺ ثانية .

٢ - التيسير لا التزمّت والوسوسة :

قال رسول الله ﷺ لأبي موسى الأشعري ومعاذ حين بعثهما إلى اليمن :

« يسِّرا ولا تعسِّرا ، وبشِّرا ولا تنفِّرا »^(٢) .

والتيسير يتناول العمل والأداء ، وقد أشار إليه القرآن بقوله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] .

أمَّا الوسوسة فهي مرض نفسي ، فلو أن أحد الموسوسين توضأ وضوء رسول الله ﷺ لظنَّ أنَّ وضوءه باطل .

قال ابن قدامة : فمن أراد التخلص من هذه البليَّة فليستشعر صحَّة ما ذكرناه من الحق في أتباع رسول الله ﷺ في قوله وفعله ، وليعزم على

(١) العبادة في الإسلام ، للقرضاوي ص (٣٠٠ وما بعدها) .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

سلوك طريقته ، ثم ليعلم أن أصحاب رسول الله ﷺ ما كان فيهم
موسوس .

٣ - الاقتداء بالمذاهب لا التعصّب لها :

إن التعصّب لمذهبٍ معين لكلّ مسائل العبادة والمعاملة تزمت
وتحجّر ، وكأنّ أتباع مذهب معيّن فرضٌ نطق به الوحي ، أو نزل
به الروح الأمين .

وليس المقصود أن يتنقل المسلم بين المذاهب ؛ يأخذ من كلّ
مذهب ما يوافق هواه ، من غير اعتمادٍ على أصل ولا حجة ، إنما المقصود
أن يتّبع المسلم الدليل ، وأن يخضع للحكم الذي قويّت حجّته ، ووافق
قواعد الشريعة ، وروح الإسلام ، وهذا ما كان عليه السلف قبل انتشار
المذاهب وأتباعها ، وهذا شأن علماء السلف ، أما غيرهم فكانوا
مقلّدين اعتباراً من عصر الصحابة والتابعين .

٤ - العناية بالفرائض أولاً :

نحن في عصرٍ كثرت فيه الفتن على الناس ، ورقّ فيه دينُ الكثيرين ،
فليكن همّاً الأوّل : أداء الفرائض واجتناب الكبائر .

وهذا هو المنهج السديد ، أن نشدّد في الأصول ، ونسهّل في
الفروع ، فإن استجاب المسلم لأداء الفريضة ، وتذوّق حلاوة العبادة ،
ومرن عليها ، فإنّ ذلك سيدفعه إلى النافلة دفعاً تلقائياً ؛ ليجبر ما عسى
ينقصه من إحسان الفريضة ، ويرتقى بها في سلّم العبودية لله ؛ حتّى
يفوز بمحبة الله . وما أرفعها درجة !!

قال الله تعالى في الحديث القدسي :

« ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه ، وما

يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعهُ الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطشُ بها ، ورجلُهُ التي يمشي بها « (١) .

ثم يتدرج المعلم مع المبتدئ في التدين أسوة بالنبي ﷺ ، فيبدأ بتعليم الكليات ثم الجزئيات ، وبتعليم الفرائض ، ثم النوافل والتطوع وسائر أعمال الخير ، كما في حديث معاذ بن جبل الذي قال فيه :

كنتُ مع النبي ﷺ في سفر ، فأصبحتُ يوماً قريباً منه ونحن نسير ، فقلت : يا رسول الله أخبرني بعملٍ يُدخلني الجنة ، ويُبعدني من النار .

قال : « لقد سألتني عن عظيم ، وإنه ليسيرٌ على مَنْ يسره الله عليه ، تعبدُ الله ، ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت » .

ثم قال : « ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل من جوف الليل » .

قال : ثم تلا : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ حتى بلغ ﴿ يعملون ﴾ [السجدة : ١٦] .

ثم قال : « ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده ، وذروة سنامه » ؟

قلت : بلى يا رسول الله .

(١) رواه البخاري .

قال : « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد » .

ثم قال : « ألا أخبرك بملاك ذلك كله » ؟

قلت : بلى ، يا نبي الله .

فأخذ بلسانه وقال : « كف عليك هذا » .

فقلت : يا نبي الله ، وإنما لمؤاخذون بما نتكلم به ؟

فقال : « ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على

وجوههم ، أو على مناخرهم ، إلا حصائد ألسنتهم » ^(١) .

٢ - الأخلاق :

ترتبط الأخلاق في الإسلام بالنية الحسنة ، ذلك أن حُسن النية يتمثل في شرف الغايات التي تتحرك بها الإرادة ، فالنية الحسنة هي الخير الأخلاقي .

وقد ربط صلى الله عليه وسلم الأعمال بالنية ، فقال : « إنما الأعمال بالنيات » ^(٢) ، ولكن السلوك الحسن لا يرتبط بالنية فقط ، بل بالشكل والمادة ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » ^(٣) .

فالأخلاق مرتبطة بالنية والعمل . قال صلى الله عليه وسلم :

(١) رواه الترمذي وقال : حسن صحيح .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه مسلم وأحمد .

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ؛ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ » (١) .

ويضعُ المؤمنُ الأخلاقَ نُصَبَ عينيه ، ويسعى بعمله نحو الهدف الأمثل ، فيبذل جهده قدر المستطاع ، مستدلاً بالآية القرآنية : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

ويمكن أن نُعرِّف الأخلاق بأنها : مشروع لتحقيق القيم الإيجابية ، وصيغة أمرها المبدئي ليست : كُفْ نَفْسَكَ عن الشر ، بل هي : افعل الخير (٢) .

ودليلُ هذا التدرُّج في الوصايا الإسلامية . فعن أبي موسى الأشعري قال : قال النبي ﷺ :

« على كُلِّ مسلمٍ صدقةٌ » قالوا : فإن لم يجد؟ قال : « فيعمل بيديه ؛ فينفع نفسه ويتصدق » . قالوا : فإن لم يستطع؟ قال : « فيعين ذا الحاجة الملهوف » . قالوا : فإن لم يفعل؟ قال : « فيأمر بالخير » . قالوا : فإن لم يفعل؟ قال : « فيمسك عن الشر ؛ فإنه له صدقة » (٣) .

ويُذَكِّرنا القرآن الكريم بواجباتنا الأخلاقية من خلال العمل ، قال تعالى : ﴿ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ [التوبة : ١٠٥] وقال سبحانه : ﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٦] .

فلا بُدَّ من بذل الجهد لتحقيق القيم الأخلاقية . قال ﷺ :

(١) رواه مسلم وابن ماجه .

(٢) دستور الأخلاق في القرآن ص (٦١١ - ٦١٢) .

(٣) رواه البخاري .

« احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز » (١) .

وهو ليس أي جهد ، بل هو الجهد الخلاق المبدع ، قال تعالى :
﴿ فَبَشِّرْ عِبَادَ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ
هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ١٧ - ١٨] .

وقال ﷺ :

« إنَّ الله تعالى يحبُّ معالي الأمور وأشرفها ، ويكره
سفسافها » (٢) .

ويكون الجهد المبدع فيه اختيار بفعل الإرادة ، وله وجهة صالحة ،
ويكون على أفضل صورة ممكنة ، وهذا ما وصل إليه النبي ﷺ ، حين
وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾
[القلم : ٤] .

ولهذا قال تعالى :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

وقال سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [الإسراء : ٥٥] .

● قسما الأخلاق :

تنقسم النشاطات الأخلاقية في القرآن إلى طائفتين : الأوامر
والنواهي ، وكل منهما يتفرع على مختلف الأصعدة : الفردية والأسرية
والاجتماعية .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الطبراني .

١ - الأخلاق الفردية :

أ - الأوامر :

- طهارة النفس : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ [الشمس : ٩] .
- الاستقامة : ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ ﴾ [فصلت : ٦] .
- غضّ البصر : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور : ٣٠] .
- الامتناع عن شهوتي البطن والفرج : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .
- كظم الغيظ : ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] .
- التواضع : ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ [لقمان : ١٩] .
- الصدق : ﴿ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩] .
- الصبر : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧] .
- التنافس : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة : ١٤٨] .

ب - النواهي :

- الانتحار : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [النساء : ٢٩] .
- الكذب : ﴿ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ [الحج : ٣٠] .
- الإسراف : ﴿ وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٦] .
- الاختيال : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [لقمان : ١٨] .
- الكبر : ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل : ٢٣] .
- الحسد والطمع : ﴿ لَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [النساء : ٣٢] .
- الزنا : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْنَا ﴾ [الإسراء : ٣٢] .

— تعاطي الكسب الخبيث : ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾
[النساء : ٢٩] .

— سوء الإدارة : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً ﴾ [النساء : ٥] .

٢ — الأخلاق الأسرية :

أ — الواجبات نحو الأصول والفروع :

— الإحسان إلى الوالدين : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ﴾
[لقمان : ١٤] .

— احترام حياة الأولاد : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾
[الأنعام : ١٥١] .

— تربية الأسرة : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾ [التحريم : ٦] .

ب — الواجبات بين الأزواج :

— علاقات محرمة : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ
وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ ... ﴾ [النساء : ٢٣] .

— خصال مستحبة : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾
[النساء : ٣٤] .

— صداق المرأة : ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾
[النساء : ٤] .

— شروط تعدد الزوجات : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ ﴾
[النساء : ٣] .

ج — الحياة الزوجية :

— مودة ورحمة : ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾

[الروم : ٢١] .

— انتشار النوع : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةً ﴾

[النحل : ٧٢] .

— المساواة في الحقوق والواجبات : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ

بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

— المعاشرة بالمعروف : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

[النساء : ١٩] .

د — الواجبات نحو الأقارب :

— عطاء الغير : ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ [الروم : ٣٨] .

— الوصية : ﴿ الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

[البقرة : ١٨٠] .

هـ — الإرث :

— قواعد القسمة : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ

الأنثيين ﴾ [النساء : ١١] .

٣ — الأخلاق الاجتماعية :

أ — المحظورات :

— قتل الإنسان : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾

[الأنعام : ١٥١] .

— السرقة : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾

[المائدة : ٣٨] .

— الغش : ﴿ وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين : ١] .

— القرض بفائدة : ﴿ ذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ [البقرة : ٢٧٨] .

— خيانة الأمانة : ﴿ لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٧] .

— التواطؤ على الشر : ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢] .

— شهادة الزور : ﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ [الحج : ٣٠] .

— كتمان الحق : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ﴾ [البقرة : ٢٨٣] .

— التجسس : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ [الحجرات : ١٢] .

ب — الأوامر :

— أداء الأمانة : ﴿ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٣] .

— الوفاء بالعهد : ﴿ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة : ١] .

— إصلاح ذات البين : ﴿ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال : ١] .

— العفو : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى : ٣٧] .

— الدعوة إلى الخير : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾

[المائدة : ٢] .

— العدل والإحسان : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

[النحل : ٩٠] .

ج — قواعد الأدب :

— الاستئذان : ﴿ وَلَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا

وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ [النور : ٢٧] .

— التحية عند الدخول : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ

تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [النور : ٦١] .

— رد التحية بأحسن منها : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ

رُدُّوَهَا ﴿ [النساء : ٨٦] .

ولو تفصّينا جوانب الأخلاق في الإسلام لضاق المجال ، ونحن في صدد الإشارة لا التوسّع ، لكن يجدر التنبيه إلى شمول الأخلاق لكل القطاعات الإنسانية المختلفة ، من الاعتقاد ، والسلوك الفردي والاجتماعي وغير ذلك .

والمهم في الأمر أن تتبع الظاهرة الأخلاقية من أساسٍ تحلّقي إيماني ، فكثير من الناس لا تعبّر ظواهرُ سلوكهم عمّا يُكنُّون في قرارة نفوسهم ، وهذا نفاق أو رياء أو مداراة زائفة ، وهذا ما نُهي عنه المؤمن ، لأنّه ينطلق في سلوكه الأخلاقي بدافع الإيمان ابتغاء مرضاة الله تعالى .



المصادر والمراجع

- ١ - الإبانة عن معاني القراءات :
لمكي القيسي - تحقيق د . محيي الدين رمضان - دار المأمون
- دمشق - ط ١ - ١٩٧٩ م .
- ٢ - الإتقان في علوم القرآن :
للسيوطي - دار الفكر - بيروت - ١٩٧٩ م .
- ٣ - إحياء علوم الدين :
لأبي حامد الغزالي - دار الكتاب العربي - بيروت .
- ٤ - الأدب المفرد :
للبخاري - ترتيب كمال الحوت - عالم الكتب - بيروت
- ط ١ - ١٩٨٤ م .
- ٥ - الأذكار :
للنووي - تحقيق محيي الدين مستو - دار ابن كثير ودار
التراث - ١٩٨٥ م .
- ٦ - الإصابة في تمييز الصحابة :
لابن حجر العسقلاني - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٧ - أصول التربية الإسلامية وأساليبها :
لعبد الرحمن النحلوي - دار الفكر - دمشق - ط ١ -
١٩٧٩ م .
- ٨ - أصول الفكر التربوي في الإسلام :
د . عباس محجوب - مؤسسة علوم القرآن ودار ابن كثير -
ط ١ - ١٩٨٧ م .

- ٩- الأموال :
- لأبي عبيد - تحقيق محمد خليل هراس - مكتبة الكليات
الأزهرية - القاهرة - ١٩٨١ م .
- ١٠- البرهان في علوم القرآن :
للزركشي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة -
بيروت .
- ١١- تاريخ الطبري :
لابن جرير - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار
سويدان - بيروت .
- ١٢- تأويل مشكل القرآن :
لابن قتيبة - تحقيق أحمد صقر - المكتبة العلمية - المدينة
المنورة - ط ٣ - ١٩٨١ م .
- ١٣- التبيان في آداب حملة القرآن :
للنووي - مؤسسة علوم القرآن - دمشق - ط ١ -
١٩٨٣ م .
- ١٤- التذكار في أفضل الأذكار :
للقرطبي - بعناية بشير عيون - مكتبة البيان - دمشق
- ط ٣ - ١٩٨٧ م .
- ١٥- تذكرة الحفاظ :
للذهبي - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ١٦- الترغيب والترهيب :
للمنذري - طبعة مصطفى الباني الحلبي - ١٣٥٢ هـ .
- ١٧- تفسير الطبري :

لابن جرير - دار المعرفة - بيروت .

١٨ - تفسير القرآن العظيم :

لابن كثير - بإشراف د . يوسف المرعشلي - دار المعرفة -

بيروت - ط ١ - ١٩٨٦ م .

١٩ - تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) :

دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٩٦٧ م .

٢٠ - التفسير والمفسرون :

د . محمد حسين الذهبي - دار إحياء التراث العربي -

بيروت .

٢١ - جامع بيان العلم وفضله :

لابن عبد البر - دار الكتب العلمية - بيروت .

٢٢ - الجامع الصحيح (سنن الترمذي) :

للترمذي - تحقيق أحمد شاكر وآخرين - دار إحياء التراث

العربي - بيروت .

٢٣ - حبر الأمة : عبد الله بن عباس :

د . عبد الله سلقيني - دار السلام - حلب - ط ١ -

١٩٨٦ م .

٢٤ - حلية الأولياء :

لأبي نعيم الأصبهاني - دار الكتاب العربي - بيروت - ط ٤ -

١٩٨٥ م .

٢٥ - الدر المنثور :

للسيوطي - دار المعرفة - بيروت .

٢٦ - دستور الأخلاق في القرآن :

د . محمد عبد الله دراز - مؤسسة الرسالة - ودار البحوث
العلمية - ط ١ - ١٩٧٣ م .

٢٧ - دلائل النبوة :

للبيهقي - تحقيق د . قلعجي - دار الكتب العلمية - بيروت
- ط ١ - ١٩٨٥ م .

٢٨ - الرسالة القشيرية:

لعبد الكريم القشيري - تحقيق زريق وبلطه جي - دار الخیر
- دمشق وبيروت - ط ١ - ١٩٨٨ م .

٢٩ - الزهد والرفائق :

لابن المبارك - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي - دار الكتب
العلمية - بيروت .

٣٠ - سنن ابن ماجه :

تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر - بيروت .

٣١ - سنن أبي داود :

ضبطه محمد محيي الدين عبد الحميد - دار إحياء التراث
العربي - بيروت .

٣٢ - سنن الدارقطني :

بعناية عبد الله المدني - دار المحاسن - القاهرة .

٣٣ - سنن الدارمي :

دار الفكر - بيروت - ١٩٧٨ م .

٣٤ - السنن الكبرى :

للبيهقي - دار المعرفة - بيروت .

٣٥ - سنن النسائي :

بشرح السيوطي - وحاشية السندي - دار إحياء التراث
العربي - بيروت .

٣٦ - السيرة النبوية :

لابن هشام - تحقيق السقا وآخرين - دار إحياء التراث العربي
- بيروت .

٣٧ - الشمائل المحمدية :

للمزمذمي - بعناية الدعاس - حمص - ١٩٦٨ م .

٣٨ - صحيح ابن حبان :

بعناية كمال الحوت - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ -
١٩٨٧ م .

٣٩ - صحيح ابن خزيمة :

تحقيق الأعظمي - طبع المكتب الإسلامي - بيروت .

٤٠ - صحيح مسلم :

تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي -
بيروت .

٤١ - صحيح مسلم بشرح النووي :

دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٤٢ - الطبقات الكبرى :

لابن سعد - دار صادر - بيروت .

٤٣ - العبادة في الإسلام :

د . يوسف القرضاوي - مؤسسة الرسالة - بيروت .

٤٤ - غريب الحديث :

للهروري - بعناية د . محمد خان - الطبعة الهندية - ط ١ -
١٩٦٥ م .

- ٤٥ - فتح الباري :
- لابن حجر العسقلاني - دار المعرفة - بيروت .
- ٤٦ - فضائل القرآن :
- لابن كثير - تحقيق البنا - ١٩٨٨ م .
- ٤٧ - الفقيه والمتفقه :
- للخطيب البغدادي - دار الكتب العلمية - بيروت
- ط ٢ - ١٩٨٠ م .
- ٤٨ - الفوائد :
- لابن قيم الجوزية - بعناية أحمد عرموش - دار النفائس -
بيروت - ط ٥ - ١٩٨٤ م .
- ٤٩ - فيض القدير :
- لعبد الرؤوف المناوي - دار المعرفة - بيروت .
- ٥٠ - في رحاب القرآن الكريم :
- لمحمد بن محيسن - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة -
١٩٨٠ م .
- ٥١ - كنز العمال :
- لعلي المتقي الهندي - بعناية حياني والسقا - مؤسسة الرسالة -
بيروت - ط ٥ - ١٩٨٥ م .
- ٥٢ - لسان العرب :
- لابن منظور - دار صادر - بيروت .
- ٥٣ - لطائف المعارف :
- لابن رجب - دار الجيل - بيروت .
- ٥٤ - اللمعة في خصائص الجمعة :

- للسيوطي - تحقيق محمد زغلول - دار الكتب العلمية -
بيروت - ط ١ - ١٩٨٥ م .
- ٥٥ - مجمع الزوائد :
للهيثمي - دار الكتاب العربي - بيروت .
- ٥٦ - المستدرک :
للحاکم - بإشراف د . يوسف المرعشلي - دار المعرفة -
بيروت .
- ٥٧ - المسند :
لأحمد بن حنبل - دار الفكر - بيروت - ط ٢ -
١٩٧٨ م .
- ٥٨ - مسند أبي عوانة :
ليعقوب بن إسحاق - دار المعرفة - بيروت .
- ٥٩ - مسند الشهاب :
للقضاعي - تحقيق حمدي السلفي - مؤسسة الرسالة
- ط ١ - ١٩٨٥ م .
- ٦٠ - المصاحف :
لابن أبي داود - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ -
١٩٨٥ م .
- ٦١ - المصنف :
لابن أبي شيبة - الدار السلفية - الهند - ط ٢ - ١٩٧٩ م .
- ٦٢ - المصنف :
لعبد الرزاق - المكتب الإسلامي - بيروت .
- ٦٣ - المطالب العالية :
لابن حجر العسقلاني - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي - دار

- المعرفة - بيروت .
- ٦٤ - معرفة القراء الكبار :
- للذهبي - تحقيق محمد سيد جاد الحق - دار الكتب الحديثة -
القاهرة - ط ١ - ١٩٦٩ م .
- ٦٥ - مقدمة في أصول التفسير :
- لابن تيمية - تحقيق د . عدنان زرزور - دار القرآن الكريم -
الكويت - ط ١ - ١٩٧١ م .
- ٦٦ - موارد الظمان :
- لللهيثمي - تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة - دار ومكتبة
الهلal - بيروت - ١٣٥١ هـ .
- ٦٧ - الموطأ :
- لمالك بن أنس - صححه محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء
التراث العربي - بيروت - ١٩٨٥ م .
- ٦٨ - ميزان الاعتدال :
- للذهبي - تحقيق علي البجاوي - دار المعرفة - بيروت .
- ٦٩ - نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم :
- د . عباس محجوب - مؤسسة علوم القرآن ودار ابن كثير
- ط ١ - ١٩٨٧ م .
- ٧٠ - النهاية في غريب الحديث والأثر :
- لابن الأثير - تحقيق الزاوي والطناحي - مؤسسة مطبوعاتي
إسماعيليان - طهران .
- ٧١ - نوادر الأصول :
- للحكيم الترمذي - دار صادر - بيروت .

موضوعات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
٩	الفصل الأول : الإيمان بالقرآن الكريم
١١	وجوب الإيمان بالكتب السماوية
١٢	معنى الإيمان بالكتب السماوية
١٣	تعريف القرآن الكريم
١٤	أسماء القرآن
١٥	خصائص القرآن
١٦	نزول القرآن
١٩	تدوين القرآن
٢٣	الفصل الثاني : <u>قراءة القرآن وحفظه</u>
٢٥	فضل قراءة القرآن
٣٤	أثر قراءة القرآن في النفوس
٣٦	البكاء عند قراءة القرآن
٣٩	فضل تلاوة القرآن في الصلاة
٤٣	المحافظة على التلاوة والإكثار منها
٤٧	فيما يفعله القارئ عند ختم القرآن
٥١	ثواب من قرأ القرآن فأعربه
٥٥	قراءة القرآن نظراً من المصحف

- ٥٩ فضل قراءة السر على الجهر ، والجهر جائز
- ٦٢ آداب قراءة القرآن
- [الإخلاص (٦٢) تنظيف الفم بالسواك (٦٣) استحضر الخشوع والتدبر والخضوع (٦٤) أن يكون القارئ على طهارة (٦٥) القراءة في مكان نظيف (٦٦) القعود وعدم الاتكاء (٦٧) استقبال القبلة والاستعاذة والبسملة (٦٨) قراءة السورة كاملة وعدم قطع القراءة (٧٠) القراءة بالتفخيم وتأدية الحروف وإبراز الكلام والإمساك عن القراءة أثناء التأؤب (٧١) عدم التقاط الآي من كل سورة (٧٢) اجتناب ما يخلل بالقراءة (٧٣) العناية بالمصحف وسجود التلاوة (٧٤) الأوقات المختارة للقراءة (٧٨) استحباب قراءة الجماعة مجتمعين (٨٢)] .
- ٨٥ آيات وسور مستحبة في أوقات مخصوصة
- ٨٩ دعاء لحفظ القرآن وطرد نسيانه
- ٩٣ الفصل الثالث : جودة الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة ...
- ٩٥ معنى الترتيل
- ٩٦ فضل ترتيل القرآن
- ٩٩ مدّ القراءة وتقطيعها
- ١٠١ الترجيع
- ١٠٢ حسن الصوت بالقراءة للقرآن
- ١١٠ تجويد القرآن
- [معنى التجويد (١١٠) الغاية من علم التجويد (١١١) حكم

- علم التجويد (١١٢) بعض أحكام التجويد (١١٤) .
- ١٢٩ الفصل الرابع : تدبر المعاني وتفسير القرآن
- ١٣١ معنى تدبر المعاني
- ١٣٥ مصادر التفسير ومنابعه
- [النقل عن رسول الله ﷺ (١٣٥) الأخذ بقول الصحابي
(١٣٧) أقوال التابعين (١٣٩)] .
- ١٤١ أقسام التفسير
- ١٤٤ ألوان من التفسير
- [التفسير بالمأثور (١٤٤) التفسير بالرأي (١٤٧)] .
- ١٤٩ الفصل الخامس : تعاهد القرآن
- ١٥١ سهولة حفظ القرآن
- ١٥٣ الترغيب في استذكار القرآن وتعاهده
- ١٥٦ التحذير من نسيان القرآن
- ١٦١ الفصل السادس : تعليم القرآن
- ١٦٤ الترغيب في تعليم القرآن
- ١٦٨ آداب معلّم القرآن ومتعلّمه
- [الإخلاص (١٦٩) ألا يقصد القارئ والمقرئ التوصل إلى
غرض دنيوي (١٧٠) أن ينفذ المعلّم وصية رسول الله ﷺ في
الرفق بالمتعلم والإحسان إليه (١٧١) ينبغي للمعلم أن ينصح
المتعلمين (١٧٢) أن يكون المعلم رفيقاً بالمتعلمين (١٧٤) أن

- يكون المعلم قدوة حسنة (١٧٥) على المتعلم أن يفهم معلمه
حقوقه (١٧٦) .
- ١٧٨ تلقي القرآن وتعلمه
[التلقي عن أستاذ متخصص (١٧٨) الانتساب لمعهد شرعي
(١٧٩) سماع أشرطة الكاسيت (١٨٠)] .
- ١٨٣ الفصل السابع : الاستماع للقرآن والإنصات إليه
١٨٥ فضل سماع القرآن
١٨٥ مواضع الاستماع للقرآن
١٨٧ موقف المستمع أثناء سماعه القرآن
١٨٨ أقوال العلماء في الاستماع للقرآن
١٩١ الفصل الثامن : التفقه بالقرآن والعمل به
١٩٣ فضل التفقه والعمل بالقرآن
١٩٧ معاني العمل بالقرآن
١٩٧ مجالات العمل القرآني
[العبادة (١٩٨) الأخلاق (٢٠٧)] .
- ٢٠٩ قسما الأخلاق
[الأخلاق الفردية (٢١٠) الأخلاق الأسرية (٢١١) الأخلاق
الاجتماعية (٢١٢)] .
- ٢١٥ المصادر والمراجع
٢٢٣ موضوعات الكتاب

